



النابغة الجعدي

عصره، حياته وشعره

تأليف
أحمد حسن بسبح

الأعلام من الأديباء والشعراء

النايخة المجدية

عصره، حياته وشعره

تأليف
أحمد حسن بسبح

شبكة كتب الشيعة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



shiabooks.net

رابطه بديل < nktba.net

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلکس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٢٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فناكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١ - ٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تتناول هذه الدراسة علماً من أعلام الشعر والأدب في ما بين الجاهلية والإسلام. إنه النابغة الجعدي، الصحابي الجليل، والشيخ الحكيم، والشاعر المغلق. ولقد رأيت، وانطلاقاً من مبدأ تيسير العلم وتبسيطه، أن أقدم هذا الكتاب، ليكون مرجعاً متواضعاً للطلاب والباحثين، لا سيما وأن مكتبتنا العربية تفتقر إلى مثل هذا النوع من الدراسات، وإن وجدت، فهي في أكثر الأحيان تنحصر في عصر دون عصر، وتهتم بشاعر دون آخر، ولملء هذا الفراغ، جاء هذا الكتاب، وسيتبعه، إن شاء الله تعالى، كتب أخرى، أمل أن يجد فيها القارئ الكريم ما ينفعه ويرضيه، وليتمس لي العذر إن كنت لم أبلغ الغاية.

والحمد لله رب العالمين

أحمد حسن بسج

بيروت : الاثنين ٢٧ ربيع الأول ١٤١٤ هجرية

الموافق في ١٣/٩/١٩٩٣ رومية

الفصل الأول

الجاهلية

يتناول هذا الفصل دراسة الأحوال العامة، التي أحاطت بالناطقة الجعدي، وبما أنه عايش عصرين مختلفين: أعني الجاهلية وصدر الإسلام، كان لا بدّ من إلقاء الضوء على البيئة الجاهلية، بكافة مظاهرها، للانتقال، بعد ذلك إلى دراسة البيئة الإسلامية الجديدة، وإظهار ما في البيتين من العناصر المشتركة، والتي كان لها الدور الأبرز في توجيه الحياة الأدبية، فيما بعد وخصوصاً في شاعرية الناطقة قيس بن عبد الله الجعدي، موضوع هذا الكتاب.

الجاهلية :

يميل كثير من الباحثين إلى التفريق والتمييز بين جاهليتين: أولى، ولم يصلنا من أخبارها سوى ما جاء به القرآن الكريم من قصة ثمود وعاد، وأخبار أخرى، ليست كافية، كي نتمكّن من رسم معالم دقيقة للحياة الأدبية، والفكرية في تلك الفترة. وجاهلية ثانية، وهي الأقرب إلينا، وتمتد إلى متي عام على الأكثر قبل البعثة النبوية، وهذا ما قرّره الجاحظ في معرض حديثه عن تاريخ الشعر العربي حيث قال: «أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه، امرؤ القيس بن حجر ومهلhel بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين

ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتني عام^(١). وبناء عليه فإن أي حديث عن الجاهلية، لا بد وأن يتناول هذه الفترة، نظراً لوصول أخبارها إلينا، فضلاً عن آدابها من شعر وخطابة وسجع كهان.

أما التسمية، فإنها مشتقة من الجهل لما كان يتفشى في ذلك العصر من سَفَه وطيش، وعبادة للأوثان، وبعدٍ عن جادة الصواب، وليس فقط لجهلهم في الأمور العلمية، وقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت ذلك فقال^(٢) تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟﴾ وقال^(٣) أيضاً: ﴿خَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. وقد استعمل شعراء العصر كلمة الجهل بهذا المعنى أي الطيش والغضب والنزق، فقال^(٤) عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
البيئة الطبيعية :

قَسَمَ الجغرافيون شبه الجزيرة العربية إلى خمسة^(٥) أقاليم مناخية وطبيعية :

١ - تهامة : وهي الأراضي المنخفضة التي تمتد بمحاذاة البحر الأحمر من ينبع في الشمال إلى نجران في الجنوب، وسُمِّيت تهامة لشدة حرّها.

(١) الحيوان للجاحظ : ٧٤/١

(٢) سورة المائدة : آية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٩٩ .

(٤) شرح المَلَفَات السبع : ١٢٧ .

(٥) تاريخ الإسلام، حسن ابراهيم حسن ٤/١ .

٢ - الحجاز: ويمتد هذا الإقليم إلى الشرق من تهامة، ويمتد إلى الجنوب، ويتخلل هذا المنطقة سلسلة جبال السراة، بمحاذاة تهامة، وتمتد من الشام إلى نجران يتخللها أودية كثيرة، وتقع مكة المكرمة في إحدى هذه الأودية، كما يضم هذا الإقليم يثرب أو المدينة المنورة، إلى الشمال من مكة المكرمة. ويعتبر هذا الإقليم فقيراً بموارده الطبيعية فهو قليل المياه، وأراضيه مجدبة قليلة النبات والزرع، والحرارة مرتفعة. وتعد الطائف من أهم مدن الحجاز بل هي بستانه الأخضر لما فيها من ماء وخضرة وطيب هواء.

٣ - نجد: وهو إقليم مرتفع الأرض، ويمتد ما بين اليمن في الجنوب إلى بادية السماوة في الشمال، والعروض وأطراف العراق، ويتمتع بكثرة مراعيه، وطيب هوائه، واعتدال مناخه، وقد نشأ في هذه المنطقة أكثر الشعراء الجاهليون.

٤ - اليمن: ويمتد جنوباً المحيط الهندي ويتصل بنجد من جهة الشمال، وبحضرموت من الشرق، والبحر الأحمر من الغرب. ويُعرف هذا الإقليم بطيب هوائه ووفرة مياهه واعتدال مناخه، وقد عرف حضارة عريقة قديماً، تمثلت بإقامة سد مأرب الذي دُمّر السيل.

٥ - العروض: ويشمل اليمامة وعُمان والبحرين، ويفصل بين هذه المناطق مساحات شاسعة من الأراضي المقفرة التي لا ماء فيها ولا نبات. أما البحرين وهي ما يعرف اليوم بالأحساء، في شرقي الجزيرة العربية على الخليج العربي، فأراضيها خصبة ومياهها وفيرة، وأهم منتجاتها التمر.

البيئة الاجتماعية:

انقسم العرب في بلادهم إلى قسمين: بدو وحضر وذلك تبعاً لنمط الحياة الذي اتبعه كل فريق.

أما البدو، فهم سكان الصحراء، وكانوا رعاة يتنقلون من مكان إلى آخر طلباً لموارد الماء وبحسباً عن الكلا لمواشيهم، فلا يكاد يستقر البدوي في مكان حتى يهجره إذا قل الماء والغذاء، فإن لم يجد مكاناً آخر اضطر للغزو والسلب والنهب، فكثر الحروب والغارات، وانبرى الشعراء يعبرون عن ذلك الواقع، ويتناخرون ببطولاتهم وإنجازاتهم، وأيامهم وكثرة عددهم. وهكذا كانت العلاقات الاجتماعية متقطعة، والأواصر مفككة لا رابط بين الناس سوى العصبية القبلية، الناتجة عن الرابطة الدموية ضمن إطار القبيلة الواحدة. من هنا القول بأن النظام القبلي هو النظام الأساس وهو المحور الذي يلتقي حوله الأفراد، وهو نظام يخضع الفرد لإرادة الجماعة ولو على غير هدى، فالعضو في القبيلة جزء منها لا شخصية له، ولا كيان، فلا يقدر على مخالفة ما تجميع عليه القبيلة وتقرره.

وهو ملزم بالانصياع، وتنفيذ ما يطلب إليه في سبيل المجموع ولا خيار له إلا ذلك، يقول دريد بن الصمة^(١):

وهل أنا إلا من غزية إن غوث
غوث وإن ترشذ غزية أرشد

وهكذا لا تكاد القبيلة تخرج من معركة حتى تدخل في غيرها فإما أنها تغزو أو يغزوها غيرها، يقول^(٢) دريد بن الصمة:

(١) هو شاعر جاهلي من سادات قومه، والبيت في ديوانه: ٤٧.

(٢) ديوانه: ٦٤.

يُغار علينا واترين فيشتفى

بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

ونظراً لهذا الأسلوب في الحياة، الذي يعتمد على القتل والسلب والنهب، والكرّ والفرّ، تأصلت في العربي عادات وتقاليد وقوانين، ودخلت في صلب كياناته الاجتماعية والنفسية، وصارت طبعاً لا يفارقه؛ فقانون الاحتكام إلى القوة هو النتيجة الحتمية لحالات العداة القائمة بين القبائل، ومن مستلزمات ذلك الإعداد الدائم للحرب ما تتطلبه من مال وسلاح وشجاعة وجرة وإقدام وصبر ونجدة وجود، وغير ذلك مما يقع تحت عنوان المروءة، فضلاً عما تقتضي الحرب من رجال. فصار العربي يعد ما ذكرناه من مفاخره ومناقبه. ولا بدّ من التذكير هنا بمقولة جاهلية كانت من نتائج نظامهم هذا وهي قولهم انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فمن العار التخلي عن نصره الأخ أو ابن العم مهما كانت الأسباب والنتائج.

أما المرأة، فقد حظيت بقسط من الاحترام، وتمتعت بشيء من الحرية وكانت تستشار في كثير من الأمور^(١)، وتشارك الرجل في أعماله وقراراته، وقد عبر الشعر الجاهلي عن ذلك بأن فاخر بعض الشعراء بأمهاتهم^(٢) كما فاخروا بآبائهم، وما افتاحهم قصائد المدح والفخر بالنسب إلا دليل واضح على مكانة المرأة العالية. أمّا نظام الزواج والطلاق فكان لهم فيه قواعد وأصول متبعة، تعتمد على رضى ذوي أمر الزوجة وهي نفسها كانت تُستشار في كثير من الأحيان. أمّا الطلاق فكان من حق الرجل، وقد تمتنع بعض النساء بذلك الحق

(١) تاريخ الاسلام، حسن ابراهيم حسن: ٦٤/١.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤/١.

بناء على رغبته^(١). ولكن الأمر الذي يؤخذ عليهم هو الرأد، وأد البنات خشية العار والفضيحة، وبعضهم كانوا يقتلون الأولاد عموماً خوفاً من الفقر، وقد حرّم الإسلام ذلك تحريماً قاطعاً.

وإذا تحدثنا عن الأحوال الاجتماعية، لا بدّ لنا من التحدّث عن الثراء والفقر والطبقات الاجتماعية تبعاً لذلك. ومما يلفت الانتباه أن مكّة المكرمة تميّزت عن غيرها، إذ شهدت نشاطاً تجارياً ملحوظاً بحكم موقعها في منتصف الطريق بين الشام واليمن، على طريق القوافل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كانت تحتل مكانة دينية متميّزة بسبب وجود الكعبة فيها والأصنام، لذلك صارت مقصداً للتجار وللزائرين على السواء. ومنها كانت تنطلق القوافل التجارية شمالاً وجنوباً برحلات شتوية وصيفية ورد ذكرها في القرآن^(٢)، أدّت إلى ظهور طبقة ثريّة من أمثال أبي سفيان والوليد بن المغيرة وعبد الله بن جدعان، فتهاوت الشعراء على هؤلاء الأثرياء بمدحونهم لينالوا عطاءهم كما فعل أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان الذي يقال إن جفته كانت تظلل الناس من حرّ الشمس.

وبالمقابل كان هناك طبقة من الفقراء وخصوصاً في ظواهر مكّة المكرمة، ليس لهم في التجارة نصيب ولا مجال يعملون فيه، إلا بعض المهن والصنائع بالإضافة إلى الخدم والعبيد وهم الطبقة الأكثر فقراً.

(١) المصدر نفسه: ٦٥/١.

(٢) قال تعالى: ﴿لَا يَلْفَاقُ قَرْيَشَ﴾. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا ربّ هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. سورة قريش: آيات ١، ٢، ٣، ٤.

البيئة الدينية :

دان أكثر العرب في الجاهلية بالوثنية، فعبدوا الأصنام والأوثان من دون الله تعالى، ويقال إن أول من نقل الوثنية هو عمرو بن لُحَي الخزاعي، وكان رأى من يعبدها في الشام فنقلها إلى مكة المكرمة، فانتشرت، وشاعت عبادتها حتى اتخذت كل قبيلة لها صنماً ونصبوها حول الكعبة. وأكبر الأصنام، وكان لقريش، «هُبَل» وهو من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى وقد صنعوا له يداً من ذهب. ومن أصنامهم المصوّرة أيضاً «وَدَّ» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر» وقد ذكرت هذه الأصنام في القرآن الكريم بقوله^(١) تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾

أما الأوثان - وهي أشكال ومجسمات غير مصوّرة على هيئة إنسان أو حيوان - منها: اللّات بالطائف ومعناها الإله أو الشمس، وهي صخرة مربعة أقيم عليها بناء، وقامت ثقيف على سدانتها، وبلغت هذه الصخرة من القداسة عندهم أن سمّوا أولادهم باسمها فقالوا زيد اللّات وتيم اللّات . . . ومنها: العزى وهي شجرة كانت في وادي نخلة على الطريق من مكة إلى العراق. ومنها أيضاً مناة وهي أقدم الأوثان وتدل بنظرهم على القضاء والموت، وموقع هذا الوثن على ساحل البحر بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد كسره الإمام علي سنة ٨ هـ .

ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا يعظمون الكعبة ويحجّون إليها كل عام، من جميع الجهات.

(١) سورة نوح: آية ٢٣ .

ولم تكن الوثنية هي الدين الوحيد، بل كانت هنالك ديانات أخرى، أو اتجاهات دينية منها الصابئة وهم عبدة النجوم والكواكب؛ وانتشرت هذه الديانة في اليمن والعراق وحرّان، كذلك عرفت الزرادشتية نسبة إلى زرادشت، وهي ديانة فارسية قديمة تقول بوجود إله للخير وآخر للشر، وانتشرت في بلاد فارس والبحرين من بلاد العرب.

كما عرفت اليهودية، وكانوا في اليمن وفي مدن وتجمعات أخرى في الحجاز مثل خيبر ويثرب وتيماء. وقد برز منهم شعراء من أمثال السموءل بن عاديا، ومن أهم قبائل اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع.

أما النصرانية، ففي قبائل تغلب وغسان وقُضاعة في الشمال، وكذلك في نجران واليمن، وعرف مذهبان للنصارى: النسطورية وكانوا في الحيرة، واليعقوبية في غسان وسائر الشام، وتعتبر نجران أهم موطن للنصارى في تلك الحقبة، وكان أهلها من ذوي الحرف وأهل صناعة كالمنسوجات الحريرية وعرفوا بتجارة الجلود والسلاح. وقد برز من النصارى طائفة من الشعراء جمع أخبارهم الأب لويس شيخو في كتاب سماه «شعراء النصرانية».

بالإضافة إلى هذه الفرق والأديان، فإن فرقة أخرى عرفت في الجاهلية ولو أنها الأقل من ناحية العدد، ولكن وجودها يدل على وجود أناس عقلاء، يدركون بالفطرة سوء ما وصلت إليه حالهم في عبادة الأوثان، فبرزت طائفة، في أوقات مختلفة على رفض الفساد والوثنية ودعوا إلى التخلص من كل العادات التي تدل على السفه والطيش كواد البنات، وشرب الخمر ولعب الميسر، ودعوا بالمقابل إلى أعمال المروءة وحضوا على المكارم، ويطلق المؤرخون على هذه الفئة

اسم «الأحناف» أو الحنفاء، لأنهم كانوا يرون أن هنالك خالقاً وإلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيه هو الله المعبود بحق، ولم يقتنعوا بالنصرانية واليهودية. من أولئك قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب المشهور الذي شهدته النبي ﷺ خطيباً في سوق عكاظ^(١)، قبل بعثته، وقد أعجب بكلامه، ومن خطبه الشهيرة قوله: «أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكل آت آت، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لخبيراً...».

ومن يتأمل شعر أمية بن أبي الصلت يدرك معنى ما نذهب إليه، ولكن أمية أدرك النبي ﷺ ولم يسلم، حسداً لأنه كان يمني نفسه أن يكون نبياً، وقال عنه النبي ﷺ، عندما أنشد شعره: «أمن لسانه وكفر قلبه»^(٢).

البيئة السياسية:

لم يعرف العرب في جاهليتهم أنظمة سياسية متطورة للحكم كما في بلاد روما قديماً، كذلك لم يُتبع منهج واحد للحكم في جميع المناطق، فتميّز بالتالي بين عدة أشكال للحكم قامت في مناطق مختلفة وفي حقب زمنية متفاوتة. من هذه الأنظمة ما اتبع في كل من إمارتي الحبيرة والفساستنة، أما الأولى فتقع على الحدود الفاصلة بين شبه جزيرة العرب من جهة وبين الدولة الفارسية وكذلك دولة الروم من جهة ثانية. وكان سكان هذه الإمارة من العرب، وقد تمتعت باستقلال شبه تام إذ كان الفرس يتدخلون في شؤونها بين وقت وآخر ولو عن طريق المعاهدات التجارية والأمنية وغيرها، مما يعود بالنفع أولاً على الفرس. ويرجع تاريخ هذه الإمارة إلى القرن الثالث الرومي،

(١) البيان والتبيين: ٣١/١.

(٢) الشعر والشعراء: ٣٠٠.

واستمر وجودها حتى الفتح الإسلامي . وقد تعاقب على حكمها ملوك عرب لخميون عرفوا بالمانذرة، منهم النعمان بن امرئ القيس . ونذكر هنا بالدور الذي لعبته هذه الإمارة في نقل حضارة الفرس إلى بلاد العرب وخصوصاً في مجال القراءة والكتابة .

أما الإمارة الثانية أي إمارة الغساسنة، فقد نشأت بمساعدة الروم في الشام حول دمشق وما يحيط بها في لبنان وفلسطين والأردن . وينتمي الغساسنة في نسبهم إلى قبيلة الأزد اليمنية ومن أهم ملوكهم جفنة بن عمرو، واستمرت هذه المملكة حتى الفتح الإسلامي حيث زالت بعد معركة اليرموك سنة ١٣ هـ . وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم . وما يذكر أن هذه الدولة، كجارتها الحيرة، قد بلغت درجة عالية من الرقي والحضارة وخصوصاً في مجال العمارة، فالحصون كانت كثيرة فيها وكذلك الكنائس، والمباني عموماً كانت مجللة بالحجارة البيضاء، وقد نعم أهلها بالأمن والرخاء، وملوكها اقتنوا الجوارح الروميات، كما تعلموا الفنون القتالية، واستفادوا من اللغات الأجنبية فادخلوا من اللاتينية واليونانية مفردات إلى العربية .

أما الحجاز، فقد عرف استقلالاً تاماً في مختلف العصور، ولم يستطع الفرس، أيام قوتهم وسطوتهم، أن يهيمنوا على هذا الإقليم، لذلك حافظ العرب على وحدتهم فتميزوا بالعقائد واللغة والعادات عن غيرهم من الأمم . وتعتبر مكة المكرمة عاصمة هذا الإقليم والسيادة فيها لقريش ألا وهي أقوى القبائل وأكثرها عدداً، وكانت السيادة قبل ذلك لحزاعة اليمنية . ويرجع القرشيون في نسبهم إلى النبي إسماعيل عليه الصلاة والسلام، لقول سيدنا محمد ﷺ : « اختار الله من إسماعيل كنانة، واختار قريشاً من كنانة، واختار بني هاشم من قريش، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خياره .

وقد عرفت مكة شيئاً من التنظيم الإداري، يتمثل بتأسيس دار الندوة كما المحنأ، والذي أسسه قصي بن كلاب، وهو مجلس يلتقي فيه الأعيان للتشاور في الأمور الهامة. وقد اجتمع لقصي هذا كل ما يؤهله للقيادة، فهو رئيس دار الندوة، ويده لواء الحرب، وله سدانة الكعبة وسقاية الحجيج. وعند ظهور الإسلام كانت سقاية الحجيج بيد العباس بن عبد المطلب، والرفادة كانت أيضاً للعباس بعد أخيه أبي طالب.

وفي نجد عرفت مملكة كندة، وكانت نشأت إثر استيلاء حسان تبع، ملك اليمن، على بعض نواحي نجد، فساعد رجلاً من بني كندة على إقامة تلة، الملكة كان يرافقه ويساعده في حملته.

ولكن هذه المملكة لم تعمّر طويلاً، إذ قُتل ملكها حجر الثاني (والد الشاعر امرئ القيس)، وبمقتله تقاسمت القبائل النفوذ في تلك المناطق، وظل امرؤ القيس الشاعر بنشد ملك أبيه حتى وفاته وعرف لهذا السبب باسم الملك الضليل. ويقال إن الكتابة دخلت الحجاز أيام هذه المملكة على يد رجل يدعى بشراً الكندي.

وقد عرضنا في ما تقدّم إلى إمارات وممالك قامت على أجزاء محدّدة من بلاد العرب، وبالتالي لم يكن لها نفوذ واسع، فبقيت أكثر البلاد خارجة عن نطاق هذه الدويلات، وخصوصاً البوادي الداخلية وما يليها وصولاً إلى البحرين، حيث ساد النظام القبلي، ومثلت القبيلة الوحدة السياسية التي تتمتع بحرية قرارها واستقلالها على أرضها فلا تبغي قبيلة على أخرى إلا لتشتعل نيران الحرب. ويرأس القبيلة شيخ أو أمير له صفات منها الشجاعة والكرم والذكاء والفصاحة وغير ذلك مما يقتضيه منصب القيادة، وكان أعضاء القبيلة يحترمونونه وينفذون

أوامره، دون اعتراض، يعاونه مجلس استشاري من وجوه القبيلة، ومن مهامه تقسيم الغنائم وله أن يحتفظ بربيعها.

البيئة العقلية والأدبية :

عرفت بلاد الشام والعراق واليمن حضارة قديمة في البناء، وكما أشرنا، في الحيرة وإمارة غسان، وسد مأرب في اليمن، كما عرفت هذه الأقاليم العلوم الأخرى التي لها علاقة مباشرة بالحياة، كالطب والحساب والنبات والري، وقد تأثروا في ذلك بجيرانهم الفرس والروم. أما سائر الأنحاء، من شبه الجزيرة، فلم يكونوا على علاقة بالعلوم العقلية أو غيرها إلا لما، فقد أتقنوا علم الأنواء لاتصال ذلك بطرق معاشهم ليتعرفوا على أوقات نزول الفيث، ومهروا في علم القيادة في معرفة الآثار وتبّعها، خصوصاً آثار الأقدام التي كانت تنطبع على الرمال، ومن العلوم التي ابتكروها واهتموا بها اهتماماً بالغاً علم الأنساب، ونشأت الحاجة إلى مثل هذا العلم كنتيجة لسيادة الروابط الدموية والعصبية التي كانت تُبنى على أساسها التحالفات الفردية والجماعية. ومن علومهم التي تكاد تكون خاصة بهم علم الفراسة، وهو الاستدلال على الصفات الشخصية من خلال الملامح الخارجية أو الحركات العضوية لشخص ما. أما العرافة فهي ضرب من التوهم وتوقع ما يكون، على زعمهم، في المستقبل، بواسطة ضرب الحصى وزجر الطير والاستقسام بالأزلام وغير ذلك.

أما في مجال القراءة والكتابة، فلم يثبت أن العرب قد اهتموا بها قبل البعثة النبوية، وكانت مسألة فردية تعود إلى رغبة المتعلم وحاجته، وأوائل المحاولات الجادة في تعليم القراءة والكتابة كانت لاحقاً في عهد النبي ﷺ وبأمره عندما طلب من أسرى بدر الذين

يعرفون القراءة والكتابة، أن يعلم كل منهم عشرة من أبناء المسلمين، وذلك يعتبر فداءً لأسرهم.

ولكن الأمر الذي تفوقوا فيه، وعلى الفطرة، الشعر أولاً والخطابة ثانياً، وكانت مكة المكرمة تمثل المحطة بل المركز الذي يلتقي فيه العرب تجارهم وشعراؤهم وخطباؤهم، فيحجون ويزورون ويتجرون ويتطارحون الشعر ويتبارون في ذلك أمام نقاد خبراء في صنعتي الشعر والخطابة، كالنابغة الذبياني، وأحكامه مشهورة في سوق عكاظ، فالاجتماع في مكة المكرمة، كان في البداية لأسباب دينية، ولكنه تحول مع الأيام إلى لقاء منافع متبادلة تجارية وعلمية وأدبية.

والشعر العربي مقفًى موزون، وبما أن أوائله تعود إلى هذا العصر، فإنه كان أصيلاً لا نظن أنه أخذ أنظمته عن الأمم المجاورة، خصوصاً لأنه نشأ في نجد، وأهل نجد لم يتصلوا بجيرانهم مباشرة. وقد يكون هنالك علاقة بين قواعد الشعر والمعتقدات الدينية، التي تختلط برهبة وقداسة اقتضت أن يعبر عنها الناس بكلمات خاصة ومركبة تركيباً خاصاً ذي نغمة موسيقية معبرة، وهكذا كانت أولى الأناشيد، ما لبثت أن اعتمدت طرائقها وعممت على كل الشعر.

أما من حيث المضمون، فإن الشعر الجاهلي يتناول الواقع ويصوره تصويراً دقيقاً، فيتحدث عن الصحراء وأهوالها وحيواناتها، ويصف الناقة والحصان والأسد والغول، كما يصور المعارك الدامية فيفتخر الشاعر ببطولات قومه ويهجو أعداءهم، وقد عبر عن فرحه بالحياة فتغزل بالمرأة ويجهلها ووصف الخمرة ومجدها، كما ذهل عند حقيقة الموت، فبكى وتغنجع بالرائ، ولم يفته أن يعبر عن إعجابه بفضائل الأعمال فمدح العظماء والكرام من الناس والمقدمين منهم، وفي جميع الحالات لم يخل أن يصدر عن الجاهليين خواطر وحكم مستمدة من

تجربتهم القاسية مع الحياة، وأهم حكمائهم زهير بن أبي سلمى .
الخلاصة :

إن طبيعة البلاد العربية الجافة الصحراوية، وجَّهت البدوي إلى البحث الدائم عن الماء والغذاء، حتى صار ذلك هاجساً لا يفارقه، فإذا دعا قال: «سقياً ورعيّاً»، وإذا مدح شَبَّه بمدوحه بالغيث أو الندى، وإذا ذكر الفتوة شَبَّهها بالماء فقال ماء الشباب. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك بسبب حاجته إلى الماء، فتولدت لديه عقيدة ظمأ الميت في قبره ما لم يؤخذ بثأره، فإنه يظل مضطرباً على زعمهم فيخرج طير يسمى الهامة من رأسه فيصيح «اسقوني اسقوني» ولا يسكت حتى يؤخذ بثأر القاتل، يقول طرفة :

كريم يروي نفسه في حياته
ستعلم إن متنا صدى أينما الصدى
أما الصراع الدائم فقد نشأ عنه حياة مضطربة حيث استحكمت الروح العدائية بين الناس، مما اقتضى أن تتجَدَّ عادات معينة صارت فضائل عندهم لا يشرف المرء إلا بها كالشجاعة والدفاع عن الحياض والثأر، ولطالما فاخروا بها باعتبارها من مآثرهم، ومدحوا من يحمل هذه الصفات وهجوا من يفتقدها.

كما أثر التنقل الدائم في توجيه أشعارهم، ومضامينها، لما يشكله من صدمات نفسية للمحبِّين والعشاق إذ ترحل الحبيبة، فيقف العاشق على أطلالها ذاكراً باكياً متغزلاً، وأول من فعل ذلك امرؤ القيس في مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحوامل

وعلى العموم، فإن الشعر الجاهلي كان ابن بيته صادقاً في نقل الواقع كما هو دون زيف، فجاءت ألفاظه خشنة كخشونة الصحراء، أفكاره متقطعة كتقطع إقامة البدوي، بعيداً عن العمق والتحليل بسبب الأمية والجهل والبعد عن المعارف العقلية، وإذا أراد أن يقارن فإنه يلجأ إلى الصور الحسية في التشبيه. والقصيدة الجاهلية عموماً تميزت بنظام، تعددت فيها الأغراض فجاءت على نسق: غزل وصف للناقة مدح وفخر وهجاء. . ومع هذا التعلد فإن أفكارها تتسم بالإيجاز، الذي يرد هو بدوره إلى ظاهرة الأمية، فكانت الحاجة ماسة إلى الحفظ فكان الاختصار تسهلاً للحفظ.

الفصل الثاني

صدر الإسلام

العصر الإسلامي

المقصود بعصر صدر الإسلام، على الأغلب، الفترة التي تشمل عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، وبذلك ينتهي هذا العصر سنة ٤٠ للهجرة حيث يبدأ العصر الأموي.

أمر النبي ﷺ بتبليغ الدعوة عندما بلغ الأربعين من العمر، وظلّ الوحي ينزل عليه بالقرآن مدة ثلاث وعشرين سنة، أمضى منها ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، وعشر سنوات في المدينة المنورة وكان اسمها يثرب قبل هجرة النبي ﷺ إليها. ثم توفي عليه الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة ودفن في المدينة المنورة في حجر عائشة رضي الله عنها، بعد أن بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة كما أمر. وقد تولى أمر المسلمين، من بعده أربعة من الخلفاء الفضلاء وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وعرف عهدهم بالعهد الراشدي، وقد سار هؤلاء على سنة النبي ﷺ، فثبتوا أركان الحكم، وتابعوا نشر الدعوة وطبقوا أحكام الإسلام ونظموا شؤون الدولة،

المالية والإدارية والقضائية والعسكرية، كما جمعوا القرآن الكريم ودونوه في المصاحف وشجّعوا على حفظه وتلاوته وتفسيره .

القرآن الكريم :

هو كلام الله الذي أنزله الله وحياً على النبي محمد ﷺ، وقد استغرق نزوله ثلاثاً وعشرين سنة، وكان ينزل على شكل آيات وسور، ونزل أكثره في مكة المكرمة فسُمي المكي، أما ما نزل في المدينة فسُمي المدني، وكان عليه الصلاة والسلام قد اتخذ كتاباً للوحي منهم زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وغيرهم، أما جمع الكتاب فقد تمّ في عهد الخليفة عثمان بن عفان .

وتضمّن القرآن الأحكام التي تحدّد العلاقات العامة في المجتمع الإسلامي من خلال ما سُمي آيات التشريع، كما حدّدت آيات أخرى الأعمال التي كلّف بها المسلم من أوامر ونواهي، بالإضافة إلى العبادات وأحكامها كأحكام الصلاة وشروطها وأركانها والصيام وفروضه وغير ذلك من أحكام العبادات .

ويدعو القرآن الكريم إلى برّ الوالدين وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك دعا إلى الامتناع عن الخمر والزنا وحرم لحم الخنزير، بالإضافة إلى طائفة كبرى من الأوامر والنواهي . ولم يقتصر الأمر والنهي على ذلك، بل تعدّاه ليحدّد علاقات الأفراد، بعضهم ببعض، كي يسود الأمن والسلام والمحبة والإلفة بين الناس، فيأخذ كلُّ حقّه ويرضى بما أعطاه الله، فهناك طائفة من الآيات تحدّد أحكام الزواج والطلاق، والميراث والبيع والشراء والآداب العامة في المأكّل والمشارب، والجلوس والحديث، وباختصار لم يترك هذا الكتاب أمراً إلّا وأشار إليه أو بيّن وفصّل . أما النوع الأخير من

الآيات وكان من حقه أن نقّده على كل ما سلف، فهو ما يتعلق بالعقائد والإيمان، فقد دعا القرآن إلى نبذ عبادة الأوثان والأصنام وكل ما لا يضر ولا ينفع وأرشد إلى عبادة الله الواحد الخالق القهار.

وهكذا نجد في القرآن الكريم ما نحتاجه من أجل الوصول إلى سعادة حقيقية في الدنيا والآخرة، فحبذا لو تبصّر المتبصرون فيه وتدبروا آياته، ولو فعلوا لوفّروا على البشرية عناء البحث والتفكير فيما يصلح لأمر دنياهم.

لغة القرآن ومنهجه:

نزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغه قريش الحجازية، وفيه من ضروب الفصاحة والبلاغة ما لا أستطيع أن أصفه في هذه العجالة، فهو كلام الله الذي تحدّى فيه أن يأتي الخلق بمثله! وأنى يكون لهم ذلك؟! هذا الأمر دفع الأدباء ومنذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، إلى البحث المستمر، والتنقيب الدائم عن وجوه الإعجاز في هذا الكتاب العظيم، وكلما توغّلوا في الدرس، كلّما اكتشفوا أموراً جديدة، فمن الأمثلة البلاغية فيه كثرة أساليب التشبيه والتمثيل، والمجاز والاستعارة والكناية، وغير ذلك. أما العبارة فلإنها تطول وتقصّر حسب المعنى المراد، وإنّ القارئ ليحسب ذلك سجعاً وهو ليس كذلك.

وأخيراً لا بدّ من التمييز بين نوعين من الآيات الكريمة: آيات محكمة وهي التي لا تحتل التأويل ومعناها ظاهر واضح، لا خفاء فيه، أما التشابهات، فلا يعلم تأويلها إلّا الله تعالى والراسخون في العلم، فلا تؤخذ على ظاهرها.

والملاحظة الأخيرة، تتعلّق بالمدني والمكي، فالآيات المدنية أكثرها

آيات تشريع وتفصيل للعبادات والمعاملات، لذلك تخلو من أسلوب القوة والزجر والتأنيب، كما هي الحال في الآيات المكيّة التي تتضمن ترغيباً وترهيباً وزجراً ووعيداً، واللهجة خطابية جدلية بغية الإقناع العقلي، لذلك كانت آيات كثيرة قصيرة وليس بطول المدنيات.

أثر الإسلام في الحياة العربية :

أحدث الإسلام انقلاباً جذرياً في المجالات المختلفة في بلاد العرب سواء من النواحي السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية والعقلية. فعل الصعيد السياسي عرفت بلاد العرب شكلاً متقدماً من أشكال الحكم، فوجدت حكومة مركزية، ودولة قوية لها أنظمتها التي تعتمد على القرآن الكريم وتستمد منه الأحكام في الشؤون المختلفة، وهكذا عملت هذه الدولة على ترسيخ أواصر العلاقات بين المسلمين الذين سوى الإسلام بينهم، فتهذمت بذلك المفاهيم القبلية والعصبية الدموية، وتحولت القبائل المتنافرة إلى أمة انفتحت على الأمم الأخرى وانصهرت في رابطة دينية واحدة عنوانها «إنا المؤمنون إخوة».

وعلى الصعيد الديني، انصرف الناس كلياً عن عبادة الأوثان، وعبدوا الله الواحد، وآمن المؤمنون بالبعث بعد الموت، وبالحساب مما جعلهم يحاسبون أنفسهم فتجنبوا الشرور، ومالوا إلى فعل الخير طمعاً في مرضاة الله تعالى، هذا الإيمان فتح المجال إلى تغييرات هامة على الصعيدين النفسي والأخلاقي. فعل الصعيد النفسي، صار المسلم ينظر إلى الحياة نظرة ملؤها التفاؤل، كما ينظر بعين الوعي والعقل لا بمنظار التوهم والتخيّل. لذلك انصقلت الشخصية العربية وتهذبت بفضل الاسلام، فصار الناس يتراحمون ويتوادون، وأحلوا السلام محل الحرب، والمودة محل الضغينة، والتسامح محل الحقد، وابتعدوا عن المفاخرات بالأحساب والأنساب، وباختصار تحول المجتمع من

مجتمع العنجهية إلى مجتمع الرحمة، وصار المسلم يرفع حقوق أخيه المسلم في حضرته أو في غيبته، وخضع الجميع لأحكام الشريعة في التقاضي بدلاً من الاحتكام إلى قانون الثأر والقتل العشوائي، فلم تعد الشجاعة تعني الشيء نفسه، فقد حملت معاني جديدة تتلاءم مع مبادئ الدين، والنجدة أيضاً ليست مطلقة بمعنى مناصرة الظالم، بل العكس هو الصحيح، الإسلام دعا إلى نصرته المظلوم لا العكس ولو كان من ذوي القربى، ومن هنا، يتبين انقلاب المعايير الأخلاقية مما يفسر ادعاءنا بأن تغييراً أخلاقياً جذرياً قد حصل بالفعل.

وكما غير الإسلام الحياة السياسية والدينية، كذلك أحدث تغييرات عظيمة وعميقة في البنية الاجتماعية: فأزال الفوارق بين الناس على قاعدة إن التفاضل بين البشر لا يكون على أساس اللون أو الأصل أو الجنس بل تطبيقاً للحديث الشريف: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»^(١)، وانطلاقاً من هنا زال كل ما كان ينغص على المرء، فالله تعالى ساوى بين الجميع في التكليف وأمور العبادة وفي الثواب والعقاب، فلا يتقدم واحد على الآخر إلا إذا تقدم عليه بالطاعات والأعمال الصالحة. إذاً قدم الإسلام نموذجاً، نراه الأكثر تقدماً، في تحديد العلاقات الاجتماعية والتي تحفظ للإنسان كرامته وحرية وماله وحقوقه، في ظل رعاية الدولة من جهة، وفي ظل احترام الآخرين له ولحقوقه كافة، ولم يستثن من هذه القاعدة أصحاب الملل الأخرى كالنصارى واليهود، فقد تكفل لهم الإسلام بالحماية والرعاية أيضاً.

ومن أجل ضمان الأمن الاجتماعي، اهتم الإسلام بالناحية الاقتصادية للفرد، فنال كل نصيبه من أموال الغنائم وغيرها مما كان يرد إلى بيت المال، فعاش الناس في بجدية ورفاه مما أتاح لهم أن

(١) رواه أحمد: ٤١١/٥.

يتحضروا ويقتنوا الجوارى والغلمان، ويشيدوا القصور ويستمتعوا بمباهج الحياة، كل ذلك أسهم في ترقية الذوق والعقل العربيين، فصار أقرب إلى الأخذ بأسباب الرقي والتطور، فأخذوا عن الأمم الأخرى ما ينفعهم من علوم وأعمالوا عقولهم للإفادة منها ومن مناهج واضعها، وقد شجع الإسلام على طلب العلم، وحض على التأمل، بل جعل النبي ﷺ العلم فريضة في قوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ترك كل ذلك أثره في الأدب، ولكن الأثر الأكبر يبقى للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أما القرآن، فقد أسهم في أن جعل من لغة قريش لغة رسمية عليا تتقدم على سواها، فصارت بالتالي لغة الشعر والأدب والتأليف، حتى صارت تستخدم لاحقاً في كل بلاد الإسلام، خصوصاً وأنها توسعت لتتضمن كلمات لم تكن معروفة في الجاهلية، كلمات ترتبط بواقع الحياة الإسلامية الجديدة، كالإيمان والبعث والنشور والصوم والجنة والنار وما سوى ذلك، ولا نقصد هنا أن كل هذه الكلمات لم تكن ذات أصل، بل أردنا أن نشير إلى تغير الدلالة فحسب. والقرآن، كان ولم يزل، محور اهتمام الباحثين والعلماء، فنشأت علوم غايتها التقريب النحوي والصرفي من أجل فهم القرآن، وكذلك علم الفقه والتفسير والمعجمات... وقد أثر القرآن في الآداب، فلجأ الرواة إلى جمع أشعار العرب القديمة واستعانوا بها في تفسير ما كان يستغل على أفهامهم من مفردات قرآنية، كما شجع القرآن بما فيه من إعجاز على ظهور مؤلفات كثيرة تبحث في وجوه بلاغته فضلاً عن لجوء أهل

الخطابة وأهل الفصاحة، فيما يقولون ويكتبون إلى هذا المنهل العظيم
ليستشهدوا بآياته وبإعجازه.

الحديث النبوي:

هو ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال، أو أفعال، وكان عليه الصلاة
والسلام أفصح العرب، فلا غرو أن تكون أحاديثه منهلًا، يتوجه إليه
المتعلمون والباحثون ليستفيدوا من أسلوبه وألفاظه، فضلاً عما نشأ
حوله من مؤلفات تناولته جمعاً وشرحاً وتصنيفاً فنشأت موسوعات
ضخمة، سُمي بعضها بالصحيح كصحيح مسلم، وصحيح
البخاري وهما من أشهر كتب الحديث.

موقف الإسلام من الشعر والشعراء:

بلغ الشعر في الجاهلية منزلة عظيمة، واحتل الشعراء المكانة
العالية، لأن الشاعر كان لسان قبيلته يذود عنها بلسانه كما كان يدافع
عنها بسيفه، واشتهرت فنون معينة لوجود ما يمهّد لها كالهجاء والفخر
الذين ارتبطا بالصراعات القبلية، وكان البيت من الشعر يرفع قوماً
ويخفض آخرين، وقد يكون سبباً لإشعال حرب ضروس. كما ازدهر
الغزل الإباحي كما نرى في معلقة امرئ القيس وغيره، والتغزل
بالخمرة كما فعل الأعشى.

هذه الفنون، تراجعت تراجعاً ملحوظاً في الإسلام لأسباب عديدة
منها ما ورد أولاً في القرآن الكريم حول الشعر والشعراء وخصوصاً
الكاذبين منهم، قال تعالى: ﴿الشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم
في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾. وقال تعالى: (١)

(١) سورة الشعراء: آية ٢٢٤.

(٢) سورة يس: آية ٦٩.

﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾، ففي الآية الأولى ذمُّ الله تعالى الشعراء لما كانوا يفعلونه من المفاصد ويقولونه من الكذب والبهتان، وفي الثانية يردُّ الله تعالى على الكُفَّار الذين كانوا يزعمون بأن النبي ﷺ ما هو إلا شاعر، فالتبني ليس بشاعر ولا يقول الشعر، والذي أنزل إليه هو القرآن. من هنا انصرف كثير من الشعراء عن قول الشعر ترفعاً، وعمدوا إلى ما هو أولى وغنيت القرآن، فانصرفوا إلى تعلُّم القرآن وحفظه وإلى العبادة والدعوة إلى الله، بدلاً من الخوض في مفاخرات ومساجلات نهى عنها الإسلام.

ولكن هل حرم الإسلام الشعر؟ الجواب لا، لم يحرم إطلاقاً، إنما النهي عن الكذب والافتراء والشتم والسب، سواء في الشعر أم في غيره، أما ما كان صادقاً منه، بعيداً عن فاحش القول، فلا ضير فيه.

وعلى العموم فإن الشعر استمرَّ في هذا العصر، أقلَّ مما كان عليه في الجاهلية خصوصاً في الهجاء والغزل والخمرة، وكذلك المديح الكاذب، تحوّل إلى مدح صادق وأكثره في مدح النبي ﷺ، أو في مدح الصحابة من الخلفاء الراشدين. والفخر تحوّل من فخر ذاتي أو قبلي إلى فخر جماعي بالمسلمين ومآثرهم، والغزل بقي منه الغزل العفيف وغالباً ما كان في افتتاحيات القصائد على الطريقة الجاهلية. وتوقف قليلاً عند الهجاء، إذ برزت طائفة من الكُفَّار نهجو النبي ﷺ هو والمسلمين، فأمر عليه الصلاة والسلام شاعره وصاحبه حسان بن ثابت الأنصاري أن يردَّ عليهم ويهجوهم ففعل هو وعبد الله بن رواحة وغيرهما، ولكنهما لم يتناولا الأعراض ولم يفحشا في القول.

ومما يذكر أن فئة من الشعراء لم تتخلّ كلياً عن الجاهلية، فأسلم هؤلاء لكنهم استمروا في الهجاء فأقذعوا كالخطيئة، وتغزّل بعضهم بالخمرة وشربها مثل أبي عرجن الثقفي الذي سجنه سعد بن أبي وقاص في القادسية. والخطيئة كان سجنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يطلقه إلا بعد أن تعهّد بعدم النيل من أعراض المسلمين.

ومن الناحية الفنيّة فإنّ الشعر في هذه المرحلة، كان لا يختلف كثيراً عما كان عليه في الجاهلية، من حيث تعدّد الأغراض في القصيدة الواحدة، وافتتاحها بالغزل، والخشونة في كثير من الألفاظ، مع تسجيل تحوّل كبير في المعاني، إذ ذخر هذا الشعر بالمعاني المستمدّة من البيئة الإسلامية الجديدة.

الفصل الثالث

النايفة الجعدي^(١)

نسبه، مولده، سيرته، وفاته

نسبه:

اختلف العلماء والمترجمون في اسم النايفة، ف قيل هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة، وقال آخرون هو قيس بن عبد الله، وذهب غيرهم إلى القول: هو حبان بن قيس، واتفقوا في بقية اسمه ونسبه. وكنيته أبو ليل، ولا ندري سبب هذه الكنية، فلم يرد في المصادر التي ترجمت له أن له بنتاً اسمها ليل، ولو أن بعضها أشار إلى ابن له ولم يذكر اسمه. إلا أن ابن سلام أخبر^(٢) عن ابن داب بأن مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة المنورة قد أخذ ابن

(١) انظر في ترجمته: الأغاني: ١/٥، أسد الغابة: ٢/٥، خزنة الأدب: ٥١٢/١، الإصابة: ٢١٨/٦، وقد رجح أصحاب المصادر المذكورة أن اسمه حبان بن قيس. أما المصادر التي رجحت بأن اسمه قيس فهي: معجم الشعراء للمرزباني: ١٩٥. طبقات فحول الشعراء: ٥٣. أما في الشعر والشعراء: ١٧٧ فهو عبد الله بن قيس. وفي كتاب المعمرين: هو قيس بن عبد الله.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

النايفة وإبله، لأنه كان علوي الرأي، فمدحه على أثر ذلك بأبيات،
شكك ابن سلام في بعضها ومما رواه:

فلن ياخذوا مالي وأهلي لظنّة
فلنن الحراب الرجال محرب^(١)

وذهب غيره^(٢) إلى أن ابنه يسمّى محارباً وقد ذكره في قوله:
ألم تعلمي أني رزئت محارباً فما لك منه اليوم شيء ولا ليا
ولكنه لم يكن به.

أما والدته فهي فاخرة بنت عمرو بن شحنة الأسدي. أما خبر
زواجه فأفاد ابن سلام بأنه تزوّج امرأة من بني المجنون ولكنها نازعته
وآذعت الطلاق، وصار يراها في منامه. فقال فيها أبياتاً يهجوها
منها^(٣):

مالي ولابنة المجنون تطرقني بالليل إن نهاري منك يكفيني
والنايفة لقب له لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال^(٤)، ومما
ذكره صاحب الأغاني في هذا المجال أن الجعدي وقال الشعر في
الجاهلية ثم أجبل دهرأ، ثم نبغ بعد في الشعر في الإسلام^(٥).
نشأته وسيرته:

ولد النايفة في الفلج جنوبي نجد، وليس هنالك ما يدلنا على
تاريخ ولادته بالضبط، ولكن المصادر التي تحدّثت عن سيرته تجمع أنه

(١) طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي: ١٠٦١.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

(٤) الأغاني: ٥/٥.

كان معمرًا. نقل^(١) صاحب الأغاني عن القحذي: وكان الجعدي
أسن من نابغة بني ذبيان^(٢)، ومما يدل على ذلك أنه عاصر المنذر بن
المحرّق، من قبل النعمان بن المنذر، الذي مدحه النابغة الذبياني،
ولكن الذبياني مات قبل الجعدي ولم يدرك الإسلام. قال^(٣) الجعدي:

تذكّرت شيئاً قد مضى لسبيله
ومن عادة المحزون أن يتذكّرا
نداماي عند المنذر بن محرّق
أرى اليوم منهم ظاهراً الأرض مقفرا
كهولاً وفتياناً كأنّ وجوههم
دنائيرٌ مما شيفَ في أرضهم قيصر
وتشير بعض الروايات^(٤) إلى أنه عاش مائة وثمانين سنة، ألا وهو
القاتل:

لبستُ أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناساً
ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستأسا
ولا يستغرب أبو الفرج ذلك ولا يستكره لأنه - أي الجعدي -
وقال لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه إنه أفنى ثلاثة قرون، كل قرن
ستون سنة، فهذه مائة وثمانون^(٥). فإذا كان النعمان توفي سنة ١٥
ق. هـ، وكان النابغة نديماً لوالده المنذر، يعني ذلك أنه كان رجلاً
ناضجاً أيام المنذر بن المحرّق، ممّا يجعلني أميل إلى القول بأنه عاش

(١) الأغاني: ٥/٥.

(٢) الأغاني: ٦/٥.

(٣) الأغاني: ٦/٥.

(٤) الأغاني: ٧/٥.

أكثر من مائة سنة، لا سيّما وأنه مات في أصبهان سنة ٦٥ هـ . وعمّا قاله^(١)، وفيه إثبات إلى ما نذهب إليه :

ألا زعمت بنو سعيد بأنّي - ألا كذبوا - كبير السن فإني
أنت مائة لعام ولدت فيه وعشرٌ بعد ذاك وحجّتان
وهكذا يكون قد عاصر ملكين قبل الهجرة النبويّة، ثم كانت له
صحبة مع النبي ﷺ، وعاصر من بعده الخلفاء الأربعة ومعاوية وابنه
يزيد، كما قدم على عبد الله بن الزبير وهو بمكة وكان قد دعا لنفسه
فاستباحه ومدحه .

أما وفادته على النبي ﷺ، وإسلامه فكان ذلك سنة ٩ للهجرة،
حيث قدم على رأس وفد من قومه، إلى النبي ﷺ فأسلم وحسّن
إسلامه، وأنشد بين يدي النبي ﷺ أبياتاً منها قوله^(٢) :

بلغنا السماءَ مجدّنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرنا
فقال النبي ﷺ : «فأين المظهر يا أبا ليل»، فقال : الجنة، فقال
النبي ﷺ : «قل إن شاء الله»، فقال : إن شاء الله وتابع الأبيات :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادٍ تحمي صفوه أن يُكذّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرنا
فقال النبي ﷺ : «أجدت لا يُفَضِّلُ الله فاك»، وقد عاش بعد
ذلك ما عاش وحتى وفاته ولم ينفض من فيه سن !

(١) الأغاني : ٦/٥ .

(٢) الأغاني : ٨/٥ .

ومما يذكر هنا أنّ النابغة كان في الجاهلية ممن يتفكرون ويتأملون،
فأنكر الخمر والسُّكر وما يفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان،
وقال^(١) في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما
كما كان يذكر دين إبراهيم والحنيفة، ويصوم ويستغفر ويتوقى
أشياء لعواقبها.

ويبدو من خلال أخباره أنه لم يعد مع قومه حين رجعوا إلى
منازلهم، لكنّه أقام في المدينة المنورة، وكانت له أخبار مع علي رضي
الله عنه فشهد صفين معه وشهد فتح بلاد فارس. ومن أخباره^(٢) مع
عثمان رضي الله عنه، أنه دخل عليه يوماً يستأذنه مودعاً فسأله عثمان
عن وجهته؟ فقال: «الحقّ بإبلي فأشرب من ألبانها فإنّي منكر لنفسي».
فقال له عثمان: «أتعرباً بعد الهجرة يا أبا ليل! أما علمت أن ذلك
مكروه؟! قال: «ما علمته وما كنت لأخرج حتى أعلمك». فأذن له
وأجل له أجلاً.

شاعريته :

لقد عاصر النابغة الجعدي عدداً كبيراً من الشعراء، في جاهليته
وفي إسلامه. وقد ذكر^(٣) ابن سلام أن الجعدي كان قديماً شاعراً
طويلاً مُفلقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، إلّا أنّه صنّفه في
شعراء الطبقة الثالثة كأبي ذؤيب الهذلي ولبيد والشهاخ. كما أفاد

(١) الأغاني: ٩/٥.

(٢) الخبر بكامله في الأغاني: ١٠/٥.

(٣) الأغاني: ٥/٥، وطبقات فحول الشعراء: ٥٣.

الأصفهاني عن ابن الأعرابي أنه قال^(١): «أقام النابغة الجعدي ثلاثين سنة لا يتكلم، ثم تكلم بالشعر، فلذلك اعتبروه نابغة!»

وقال^(٢) أبو زيد عمر بن شبة في خبره: «كان النابغة شاعراً متقدماً وكان مغلباً (أي مغلوباً) ما هاجى قط إلا غلب، هاجى أوس بن مفرء، وليل الأخييلية، وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً. وليس في هذا الكلام ما يغض من منزلة النابغة ولكنه يدلّ بنظرنا على أمرين، الأول أنه كان بعيداً عن التكلف، والثاني تعفّفه وترفّعه عن فاحش القول. وسوف نبيّن ذلك في الفصل التالي. أما الأصمعي فإنه نقل عن الفرزدق أنه قال^(٣) عن الجعدي النابغة: «كان صاحب خلقان عنده مطرّف بالقب، وجمار بواف». وأراد أن في شعره الساقط الرديء والجيد الرفيع.

ومهما تعدّدت الأقول والآراء، فحسب النابغة الجعدي ما قاله له النبي ﷺ - كما مرّ - «أجدت لا يفضض الله فاك».

(١) الأغاني: ٥/٥.

(٢) الأغاني: ١٠/٥.

(٣) الأغاني: ٢٨/٥. والجمار: غطاء لرأس المرأة، بواف أي بدرهم وثلاث.

الفصل الرابع

أغراضه الشعرية

الناطقة الجعدي، باعتباره شاعراً مخضراً، فإنه نظم في الفنون الشعرية المختلفة وجمع بين منهجين مختلفين: منهج الجاهليين بما فيه من قوة وجزالة وصور بدوية وواقعية، إضافة إلى منهج متأثر بتعاليم الإسلام، ويعتمد البساطة والوضوح، فضلاً عن المعاني السامية التي استفادها الشعراء من القرآن الكريم ومن التعاليم والأحكام الشرعية، فلا غرابة إذاً أن يترك ديواناً شعرياً تضمّن مقطوعات وقصائد في مختلف الفنون، وقد ذكر ابن النديم أن ديوان الناطقة الجعدي من عمل الأصمعي وابن السكيت، ولكن هذا العمل لم يُعثر عليه حتى الآن، وكل ما بين أيدينا من شعر الناطقة هو ما جمعه الأنسة ماريا نالينو الإيطالية وطبعته في روما سنة ١٩٥٣ رومية، وقد اعتمدت في دراسة الأغراض الشعرية على المجموع المشار إليه، وعلى ما أورده المصادر التي أوردت أخبار الناطقة وشيئاً من شعره.

المدح:

لما كان المدح هو فن التعبير عن عاطفة الإعجاب بشخصية المدح، ولما كان هذا الفن قديماً قدم الشعر عند العرب، ونظراً لتقلب الأحوال الاجتماعية بسبب الحياة القبلية التي كانت تقوم على

الغزو والقتل والسلب، فإن الشعراء جنحوا بالمديح عن هدفه الذي وجد من أجله في الأصل، فصار بعضهم يمدح بُغْيَةَ التَّكْسُبِ المادي، فتقرَّبوا من الملوك والأثرياء وذوي السلطة ومدحُوهم بما فيهم من المآثر أوليس فيهم، فأجزلوا المال للشعراء وأكرمُوهم. ولم يكن النابغة الجعدي بعيداً عما وصفنا، فهو شاعر مفلق بدوي، سلك طريق غيره فيمَّ شطر الحيرة ليمدح ملوكها اللخميَّين كما صرَّح هو نفسه بذلك، حيث تذكَّر تلك الأيام، والتدامى عند المنذر بن عَرَقٍ فقال^(١):

تَذَكَّرْتُ والذَكَرَى تَهِيْجُ لَذِي الهَوَى
ومن حاجةِ المحزونِ أن يَتَذَكَّرَا
نداماي عند المنذرِ بنِ عَرَقٍ
أرى اليومَ منهم ظاهراً الأرضِ مُقَفَّرَا
ويبدو أنه وصل إلى نجران، في سعيه ودأبه، فيذكر ملكاً كريماً، وقد ورث المجد من جهة أخواله من آل جفنة قال^(٢):
وما زِلْتُ أَسْمَى بينَ بابٍ ودارِ
بنجرانَ حتَّى خَفْتُ أن أتَنصَرَ
لدى مَلِكٍ من آل جفنة خالَه
وجَدَّاه من آل امرئ القيسِ أَزْهَرَا
يُديرُ علينا كَأَنَّهُ وشِوَاهُ
مَنَاصِفُهُ والحَضْرَمِيُّ المحْبَرُ^(٣)

(١) ديوانه: ٦١. وص: ٧٠.

(٢) الديوان: ٦١. وآل جفنة هم ملوك الغساسنة.

(٣) الحَضْرَمِيُّ: نسبة إلى حضرموت وهو الثوب.

وتراه بعد البعثة النبوية، يتوجه مع قومه معلناً إسلامه بين يدي النبي ﷺ، ويقول فيه أبياتاً يمدحه فيها، تتم عن ذوق رفيع، وفهم ثاقب، فأعجب النبي ﷺ منطقتَه، وحكمته التي تدلّ على صفاء ذهن، وسلامة فطرة، ورقّة في الإحساس، فضلاً عن أنها لا تصدر إلا عن رجل خبير مجرب، قال^(١):

بلغنا السماء مجدّنا وجدودنا وأنا لنبغي فوق ذلك مظهرها
ولما بلغ قوله:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له
بؤادرُ تحمي صفوه أن يكذرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له
حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرًا
ففي الحلم خيرٌ من أمورٍ كثيرةٍ
وفي الجهل أحياناً إذا ما تعدّرا
كذاك لعمري الدهرُ يومان فاعرفوا
شورَ وخيرَ لا بل الشرُّ أكثرُ
دعا له النبي، كما مرّ سابقاً^(٢)، وأثنى على حسن كلامه.

وأغلب الظن، أن القصيدة الرائية هذه، أضاف إليها، فيما بعد، أبياتاً أخرى، وذلك واضح من خلال التفكك في أفكارها، حيث لا تجد رابطاً يجمع بين أجزائها، فضلاً عن تعدّد موضوعاتها، من مدح وفخر وهجاء: قال^(٣) بعد إسلامه يصوّر جهاده في سبيل الله، وخوفه

(١) الأغاني: ٩/٥. والديوان: ٦١.

(٢) ص ٣٤ من هذا الكتاب.

(٣) الأغاني: ٩/٥.

من الله تعالى وحرصه على رضائه :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى
وَيَسْلُو كِتَاباً كَالْجَرَّةِ نَبِيّاً
وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أَحْسَنَ وَمَنْ مَعِيَ
سَهِيلاً إِذَا مَا لَاحَ تُنَمَّتْ غَوْرَا
أَقِيمُ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضِي بِفِعْلِهَا
وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَوْجِراً^(١)

ومما يدعونا إلى الاعتقاد بأن القصيدة لم تنظم دفعة واحدة،
اختلاف الروايات، ففي المجموع الذي بين أيدينا ثلاث روايات
تختلف الواحدة عن الأخرى من حيث عدد الأبيات، وكذلك في
التقديم والتأخير.

وقد رجَّح^(٢) ابن السبكي عن ابن عبد البر، بأن النابغة قد أنشد
القصيدة كلها لرسول الله ﷺ وأورد منها أربعة وعشرين بيتاً، بينما
يميل^(٣) الدكتور شوقي ضيف إلى ما ذكرناه أولاً، لأن بعض روايات
القصيدة أكثر من ذلك بكثير، ويصل عدد أبياتها إلى مائة وعشرين.

ويقضي النابغة فترة يجاهد في سبيل الله، في بلاد فارس وغيرها،
ثم يعود إلى المدينة ومنها إلى البادية، ثم يعود، فينفجر الصراع بين
علي بن أبي طالب ومعاوية، فيقف إلى جانب علي رضي الله عنه

(١) أوجر: خائف.

(٢) الطبقات: ١٣٠/١.

(٣) العصر الإسلامي: ١٠١.

فیتظم فی صفوف جيشه ويقاقل معه، ويمدحه ويهجو خصومه فقال^(١)
يوماً:

قد علم المصران والعراق أن علياً فعلها العتاق^(٢)
أبيض جحجاح له رواق وأمه غالى بها الصداق^(٣)
أكرم من شذ به نطق إن الألى جازوك لا أفاقوا
لهم سباق ولكم سياق قد علمت ذلكم الرفاق
سقتم إلى نهج الهدى وساقوا إلى التي ليس لها عراق^(٤)
في ملة عادتها النفاق

وفي مدحه لعلي رضي الله عنه، قد عرّض بمعاوية واتهمه هو
وجاعته بالنفاق وأنهم يسرون على غير هدى، بينما يمثل الإمام علي
الرجل الصالح الكريم، الذي لا يجارى ولن يبلغ أعداؤه مرتبته،
ولكن هذه المفاضلة أثارت على الشاعر الجعدي نقمة معاوية فأسرها
له، وكتب إلى مروان بن الحكم أن يأخذ مال الجعدي وأهله، وترث
حتى قدم معاوية إلى الكوفة، فمثل بين يديه وأنشده:

ألم تأت أهل المشرقين رسالتي
وأني نصيح لا يبيت على عتب
ملكتم فكان الشر آخر عهدكم
لئن لم تدارككم حلوم بني حرب

(١) الأغاني: ٣١/٥. والديوان: ١٩٢.

(٢) المصران: الكوفة والبصرة: العتاق: الكريم.

(٣) الجحجاج: السيد.

(٤) ليس لها عراق: ليس لها غاية.

ثم يتهدّد ويتوعّد إذا لم يردّ عليه ماله وأهله، بأنّه سيفضّب ويتقمّ
لأنهم ظلّموه فقال^(١):

صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ
سِوَى الظَّلْمِ إِنِّي إِن ظَلَمْتُ سَاغَضِبُ

فالتفت معاوية حينئذٍ إلى مروان فقال: «ما ترى؟ قال: أرى ألا
تردّ عليه شيئاً». ولكن معاوية خشي، إن لم يردّ عليه ماله وأهله أن
يهجوه بكلام تتحدث فيه العرب، فأمر بأن يردّ عليه كل ما أخذ منه.

ومن الذين اتصل بهم من أهل الحكم والرياسة عبد الله بن
الزبير، عندما أجذبت البادية وأقحمته السّنة فدخل على ابن الزبير
المسجد الحرام فأنشده قوله^(٢):

حَكِيَتْ لَنَا الصَّدِيقُ لِمَا وَلَيْتَنَا
وَعِثْمَانُ وَالْفَارُوقُ فَارْتاحَ مُعَدِّمُ

وَسُوَيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقِّ فَاسْتَوُوا
فَعَادَ صَبَاحاً حَالُكَ اللَّيْلِ مَظْلُمُ

أتاك أبو ليلى يَجُوبُ بِهِ الدَّجَى
دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَاةِ عِثْمُ^(٣)

لَتَجِرَ مِنْهُ جَانِباً زَعَزَعْتَ بِهِ
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمَصْمُ

(١) الأبيات كلها وخبر معاوية في الأغاني ٣١/٥.

(٢) الأغاني: ٢٨/٥، ما عدا البيت الثاني فهو في الديوان: ٢٠٥. وتجدر الإشارة
إلى أن عبد الله بن الزبير كان يبيع له بالخلافة بعد وفاة معاوية وقد بايعته
بلاد الحجاز واليمن ومصر والعراق وأجزاء كبرى من الشام.

(٣) عثم: جمل شديد طويل.

فقال^(١) ابن الزبير: «هَوْنٌ عليك أبا ليل، فإن الشعر أهون وسائلك عندنا. . . ولكن لك في مال الله حقان: حق برويتك رسول الله ﷺ، وحق بشركك أهل الإسلام في قيتهم»، ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم، فأعطاه قلائص سبعة وجملاً رجلاً^(٢)، وأقر له الإبل براً وعمراً وثياباً فجعل النابتة يستعجل فيأكل الحب صرفاً، فقال ابن الزبير: «ويح أبي ليل! لقد بلغ به الجهد». فقال النابتة: «أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما وَلَيْتُ قریش فعُدلت، واسترحمت فرحمت، وحدثت فصدقته، ووعدت خيراً فأنجزت فانا والنيون قراط القاصفين»^(٣).

ويتضح من خلال ما تقدم أنه يمدح بالمكارم الأخلاقية، المستمدة من الإسلام، فحين يمدح النبي ﷺ بشيد بما جاء به من الآيات البينات، التي أضاءت للناس وأرشدتهم إلى طريق الخير، ولا غرو أنه يشبه الكتاب الكريم بالمجرة تشبيهاً حياً وعلى طريقة شعراء العصر من مخضرمين وغيرهم. وفي مدحه للإمام علي، يستعمل من المعاني البدوية، ما حضره بما يلائم المناسبة، ويعبر عن إعجابه بعاطفة صادقة حميمة، مبدياً انفعالاً وحماساً شديدين تأييداً للممدوح وتعريضاً بالخصوم. فالممدوح «كالفحل» الكريم، في الشدة والحزم، وهو السيد المطاع الأبيض كريم الحسب والنسب، واليد واللسان، يسير على النهج السوي. وكذلك في مدحه لابن الزبير، فإنه يشبهه بمن سبقه من الخلفاء، أبي بكر وعثمان وعمر، ويشدد على العدل

(١) الخبر بكامله في الأغاني: ٢٨/٥ وما بعدها.

(٢) الجمل الرجل: القوي السريع. والقلائص: جمع القلوص: الناقة الشابة.

(٣) القراط: المتقدمون إلى الشفاعة أو الخوض القاصفون: المزدحمون. وقد أورد السيوطي الحديث في «الدر النيرة».

والتسوية بين الناس، فلابغي ولا ظلم، «هو يعرف كيف يستدرّ العطف ويشير النخوة في نفس الذي يخاطبه حين يذكر رحلته في الليل المظلم ويشير إلى معاناته وتعبه وإسلاقه، ولا تخلو الأبيات من أثر البادية هي أيضاً، ويتجلى ذلك بالفاظ البيتين الآخرين «جواب الفلاة عنتم».

إذاً، يستمدّ الجعدي معانيه المدحية من بيتين: من الجاهلية ومن الإسلام، حيث لا يناقض نفسه فيأخذ من البيئة الأولى ما أبقى عليه الإسلام من العادات التي تعد في المآثر والفضائل.

الهجاء:

من الأغراض الشعرية التي أذكتها الحياة الجاهلية، بما فيها من منافرات وصراعات دموية، لم تكن لتتوقف حتى بعث الله رسوله الكريم ﷺ. ارتبط الهجاء إذاً، وبالدرجة الأولى، بالعصبيات وحالات العداء المستحكمة، ولما زال أثر القبلية في الإسلام كان من الطبيعي أن تتراجع حدة اللهجة السائدة بين المتخاصمين. والنابعة الجعدي، قد أدرك ذلك جيداً، لكنه لم يستطع أن يتخلص تماماً من رواسب الماضي، سواء من ناحية ميوله العاطفية نحو بني قومه وارتباطه بهم ارتباطاً وثيقاً إلى حدّ التعصّب، أو من ناحية الحدة في الطبع، وهي موروثه بدورها من حياة الصحراء والبادية.

فمن ذلك أن بعض أقاربه من بني عامر رعوا^(١) زرعاً بالبصرة فبعث أبو موسى الأشعري^(٢) في طلبهم، فتصارخوا: يا آل عامر!!

(١) الأغاني: ٣٠/٥.

(٢) هو والي العراق.

فخرج النابغة ومعه عصبة له، فأتى به إلى أبي موسى، فسأله عن سبب خروجه فقال: «سمعت داعية قومي»، فضر به أسواطاً، فقال^(١) النابغة يعرض به وصحوه:

رأيت البكرَ بكرَ بني ثمود وأنت أراك بكرَ الأشعرينا
فلن يكن ابن عفان أميناً فلم يبعث بك البرّ الأمينا
فيا قبر النبي وصاحبيه ألا يا غوثنا لو نسمعونا

وهو بنظره كالبكر، وليس من الأمانة في شيء، لذلك يستغيث بالنبي منه. ومع ماذكرته من طبيعته وتأثره بالجاهليين من الناحية العصبية، فإن الإسلام قد غيّر فيه الكثير، فما هاجى أحداً إلا غلب، ومن هاجهم من الشعراء أوس بن مفرء، وليلي الأخيلية، وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً.

أما خبره مع أوس بن مفرء فقد بدأ عندما أغار بسر بن أرطاة، وكان من قواد معاوية، على حيّ لبني سعد بالفلج بين ظهري بني جمدة، فقتل منهم وأسر فقال^(٢) أوس:

مُشرّين ترعون النجيل وقد غدت بأوصال قتلاكم كلابُ مزاحم^(٣)
فقال^(٤) النابغة ردّاً عليه:

لعمري أهلك يا وبر بن أوس لقد أخزيت قومك في الكلام
لقد أخزيتهم خزيّاً مبيناً مقيماً ما أقام ابنا شمام^(٥)

(١) الأغاني: ٣٠/٥ والديوان: ٢١٠.

(٢) الأغاني: ١١/٥.

(٣) المشر: الذي بسط ثوبه في الشمس. النجيل: جنس من الحمض.

(٤) الديوان: ٢٠١. والخبر مع البيت الثالث في الأغاني: ١٢/٥.

(٥) شمام: جبل ببلاد بني قشير. وابنا شمام هضبتان متصلان به.

مَنْ أَكَلَتْ لَحْمَكُمْ كِلَابِي أَكَلَتْ يَدِيكَ مِنْ جَرَبٍ نَهَامِي^(١)
أَمَّا النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ كَانَ يُوَكِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ أَنْفَاءً مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَغْلَبًا فِي
الْهَجَاءِ، إِذْ قَالَ^(٢): «إِنِّي وَإِيَّاهُ^(٣) لَنَبْتَدِرُ بَيْتًا، أَيْنَا سَبَقَ إِلَيْهِ غَلَبُ
صَاحِبِهِ»، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ أَوْسَ:

لَعَمْرُكَ مَا تَبَى سَرَابِيلُ عَامِرٍ مِنْ اللَّزْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قَالَ النَّابِغَةُ: «هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَدِرُ إِلَيْهِ». فَغَلَبَ أَوْسَ
عَلَيْهِ.

وَقَدْ التَقَى بِهِ مَرَّةً فِي الْبَصْرَةِ بِسُوقِ الْمَرْبِدِ فَتَنَافَرَا وَتَهَاجَبَا، وَقَدْ
شَهِدَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْعَجَّاجِ وَالْأَخْطَلِ وَكَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ، فَقَالَ
أَوْسَ:

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةً مَنَا وَرَدَا وَلَوْ نَعَامًا فِي الْبِلَادِ رُبْدًا^(٤)
إِنْ لَنَا عَلَيْكُمْ مَعْدًا كَاهِلُهَا وَرَكْنُهَا الْأَشْدَا^(٥)
فَقَالَ الْعَجَّاجُ:

كُلْ أَمْرِي يَمْعُدُو بِمَا اسْتَعَدَّا
وَقَالَ الْأَخْطَلُ:

وَإِنِّي لِقَاضٍ بَيْنَ جَعْدَةٍ عَامِرٍ وَسَعْدٍ قِضَاءُ بَيْنَ الْحَقِّ فَيَصْلَا
أَبُو جَعْدَةٍ الذُّبِّ الْخَبِيثِ طَعَامَهُ وَعُوفُ بْنُ كَعْبٍ أَكْرَمُ النَّاسِ أَوَّلَا

(١) نَهَامِي: نسبة إلى نهامة. وويرب أوس هو أوس بن معراء نفسه.

(٢) الْأَغَانِي: ١٢/٥.

(٣) الْمُقْصُودُ أَوْسُ بْنُ مِقْرَاءَ.

(٤) الْوَرْدُ: الْجَيْشُ. الرِّبْدَاءُ مِنَ النَّعَامِ: مَا كَانَتْ سُودَاءَ اللَّوْنِ مِثْلُ غُلَامٍ أَوْ غَيْرِهِ.

(٥) مَعْدًا: مِنْ أَجْدَادِ الْعَرَبِ وَإِلَيْهِ يَنْتَسِبُ أَوْسُ بْنُ مِقْرَاءَ.

أما كعب بن جعيل، فهو الآخر، قد أدلى بدلوه وناصر رفاقه
وأعانهم على الجعدي وقال^(١):

إني لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه
مَنْ أَمْ قَصداً ولم يعدلِ إلى أودٍ^(٢)
فصلاً من القول تأتم القضاء به
ولا أجور ولا أبغي على أحدٍ
ناكت بنو عامر سعداً وشاعرها
كما تنيك بنو عيسٍ بني أسدٍ

وإذا تضافر هؤلاء على الجعدي وتفوقوا عليه في الهجاء، فإنَّ لذلك
أسبابه ودوافعه، فالأخطل وكعب بن جعيل، كلاهما شاعران أمويًا
المهوى وكذلك العجاج، بينما كان النابغة علوي النزعة، وهو فضلاً
عن ذلك، قد استضاء بنور الإسلام، وتلا القرآن وتدبره، وكان
يجاهد في سبيل الله تعالى، فمثله، من الطبيعي أن يترفع عن فاحش
القول، ويتعفف عن الإنزلاق في مساقط الشرِّ والمفاسد، قال^(٣):

يا ابن الحيا أنني لولا الإله وما
قال الرسولُ لقد أنسيْتُكَ الخالا

وقيل^(٤) إن رجلاً من قُشير - يدعى ابن الحيا (وهي أمه) واسمه
سوار بن أوفى بن سبرة - قد هجاه وسبَّ أخواله^(٥) من أزد في أمر كان

(١) الأغاني: ١٣/٥.

(٢) الأود: الإعوجاج.

(٣) ديوانه: ١٠١.

(٤) الأغاني: ١٣/٥.

(٥) الأغاني: ١٤/٥.

بين قشير وبين بني جمعة وهم بأصبهان متجاورون، فردّ عليه
الجمعي بقصيدة عُرفت باسم الفاضحة لأنه ذكر فيها معائب
ومساوي قُشير وعُقيل، وكل ما كانوا يُسبّون به، وفخر بقومه
وبفضائلهم، وبسائر بطون بني عامر سوى قُشير وعُقيل، قال^(١):

جهلت عليّ ابن الحيا وظلمتني
وجمعت قولاً جاء بيتاً مضللاً
عددت قُشيراً إذ فخرت فلم أنا
بذاك ولم أزمعك عن ذاك معزلاً
يتهم خصمه بالجهل والظلم، وقد فاخره بكثرة سادات قُشير، وهو
يعلم بأن قوم الشاعر أكثر عدداً وأعزّ، لذلك فإن الجمعي يعتبر أن
ذلك الادعاء لا يسوّوه ولا يتفصه.

وقال^(٢) في قصيدة أخرى يهجو:

يا بن الحيا إنني لولا الإله وما
قال الرسول لقد أنسينك الحالا
ولقد وسمنك وسماً لا يغيبه
ثوباك يبرق في الأعناق أحوالا
أن تُهمم فينا الناقصات وقد
كنا نقدم للظلام أنكالا^(٣)
فلن صخرتنا أعيت أباك ولا
يألوها ما استطاع الدهر إخبالا^(٤)

(١) الديوان: ١١٤. الأغاني ١٤/٥.

(٢) الديوان: ١٠٠. وبعض الأبيات في الأغاني: ١٤/٥.

(٣) أنكال: جمع بكل أي القيد.

(٤) يآلو: يقصر. الإخبال: الانتفاع بالناقة.

ينسب الجعدي سوار بن أوفى إلى أمه استصغاراً له وتغقيراً
لشأنه، وهو لم يفحش له القول لأنه مسلم يخاف الله تعالى ويلتزم
أوامر الدين بعدم الافتراء والنيل من الأعراض، ولكنه ينسب إليه
والى أبيه وقومه الجبن والذل والصغار، فيقول^(١):

ويوم مكة إذا ما جدتم نفرأ حاموا على عقد الأحساب أزوالاً^(٢)
عند النجاشي إذ تعطون أيديكم مقرنين ولا ترجون إرسالاً^(٣)
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئاً بماء فعادا بعدأ أبوالا

ويتابع الأبيات، بعد ذلك مفاخرأ عليه بما كسبه في الأيام والمواقع
التي كانت لهم، ولم يذكر لهم إلا نجدتهم لرجل من جعدة بشربة ماء
وأخرى من لبن.

وفي إطار القصّة عينها قال^(٤):

أبلغ قشيرأ والحريش فما ذا ردّ في أيديكم شتمي^(٥)
ولما بلغ ما قاله النابغة، مما أوردناه آنفاً، ليلى الأخيلىة^(٦) ثارت
وغضبت لقومها ولزوجها سبرة، ردّت عليه بقصيدة منها:
وما كنتُ لو قاذفتُ جلّ عشيري لأذكر قعبي حازرٍ قد تشملاً

(١) الديوان: ١٠٤. والأغاني: ١٤/٥.

(٢) ماجد: فائز. أزوال: جمع زول: فتي ظريف.

(٣) إعطاء اليد: كناية عن الذلة والانقياد.

(٤) الأغاني: ١٥/٥. والديوان: ٢٣٤.

(٥) الحريش هو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٦) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، شاعرة فصيحة، توفيت سنة ٨٠ هـ.

(٧) حازر: حامض. تشمّل: صار رغوّة.

وهي تستكر عليه ما قاله في البيت الثالث من المقطوعة السابقة،
وهكذا استمرت المهاجاة بينهما بسبب قصّة صبرة.
أثارته ليل بردها واستفزته فردّ قائلاً^(١):

ألا حَيّا ليل وقولا لها هلا
فقد ركبّت أمراً أغرّ عَجلاً^(٢)
بريذينة بلّ البراذين ثغرُها
وقد شربت من آخر الصيف أَيْلاً^(٣)
دعي عنك تمجاء الرجال وأقبل
علّ أذلّني إملاً اسْتِكْ فيشلاً^(٤)
وكيف أهاجي شاعراً رعمه استّه
خضيب البناني لا يزال مكملاً
وهو إذا شَبَّها بالخيّل، واتَّهمها بالفجور، ممّا لا يُحمد عليه، إلّا
أنّها ردّت عليه وقالت:

أنا بَغْ لم تنبَغْ ولم تَكْ أَوْلاً وكنْتُ صُنْياً بين صُدَيْنِ نَجْهلاً^(٥)
أنا بَغْ إنْ تنبَغْ بلؤمك لا تجذ للؤمك إلّا وسَطُ جمعة نَجْهلاً

(١) الديوان: ١٢٣. والأغاني: ١٦/٥.

(٢) «أمراء» في الأغاني: ١٦/٥ «أمراء» وهو ما يوافق المعنى، ويؤكد ما جاء في البيت الثاني من شربها للبن الأبل الذي كانوا يزعمون أنه إذا شربه المرأة اغتلمت. وقوله: «هلاء كلمة زجر تزجر بها الإناث من الخيل إذا نزي عليها الفحل لتسكن».

(٣) بريذينة: تصغير برذونة وهي التركي من الخيل.

(٤) أذلّني: نسبة إلى أذلّغ بن شداد وكان نكاحاً. الفيشل: رأس الذكر.

(٥) الصُّني: المسيل. صُدّان: جبلان. مجهول: أرض لا يمتدى فيها. والأبيات في الأغاني: ١٧/٥.

تعبيري داء بأبمك مثله وأبي حصان لا يقال لها هلا
ويروى أن بني جمدة، لما بلغهم قولها هذا، استأثروا استياء
شديداً، وقرروا أن يستعدوا عليها صاحب المدينة، أو الخليفة لأنها
نالت منهم وهشمتهم، فلما أتاها خبرهم قالت:

أتاني من الأنباء أن عشيرة
بشوران يُزجون المطي المذلل^(١)
فيروح ويغدو وفدهم بصحيفة

ليستجلدوا لي، ساء ذلك معملاً

وفي نهاية الكلام على هجاء الجعدي، بات واضحاً أنه لم يبلغ ما
بلغه أقرانه في هذا المجال، لأنه لم يكن مهياً نفسياً لذلك، ولم يكن
تدينه لسمح له أن يقذع، ولو أنه قد أقذع فعلاً في هجائه لليل
الأخيلية. ولكننا لا نراه يطيل في هجائه لأحد عن هجاءهم كما فعل
في الوصف والفخر، فليس من طبعه السب والشتن وهو لا يهجو
لإشباع شهوته كما كان غيره من المتعصبين قبلياً فأفلتوا للاستهم
العنان، دون رادع من خوف أو وجل أو خجل.

الفخر:

إذا تحدثنا عن الهجاء، لا بد لنا من المجيء إلى خبر الفخر، لأنه
يرتبط، هو الآخر، بالحياة البدوية والعصبية القبلية، حيث يفاخر
الشعراء بأنفسهم وبقبائلهم ذاكرين أيام الانتصارات، شاتة بالأعداء
وتحقيراً لهم، فالشاعر لسان قبيلته والناطق باسمها، وكان الجعدي

(١) الأغاني: ١٨/٥.

(٢) شوران: جبل بدار بني جمدة.

ينطق، حقاً، باسم قبيلته، وهو لا يفصل عنها ولا يهرب من
المواجهة من خلالها، لذلك نراه كثير التغني بأعجاد قومه في مواقعهم
التي جعل من شعره سجلاً لها قال^(١):

هلاً سألت بيرومي زخرخان وقد
ظننت هوازن أن العز قد زالا^(٢)

وهذا البيت هو من قصيدة مررنا على ذكر بعض أبياتها، وكان
هجاء فيها قوم سيرة زوج ليل الأخيلية، ومن الأيام التي فخر بها يوم
وادي نساح^(٣) ويوم مكة، وبمناسبة مقتل علقمة الجعفي،
وشراحيل بن الأصهب الجعفي، ويوم شراحيل هذا تفتخر به مضر
كلها.

ومن فخره في قصيدته الرائية قوله^(٤):

وإنا أناس لا نعود خيلنا
إذا ما التقينا أن تميد وتنفرا
وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا
من الطعن حتى تحسب الجحون أشقرا
يفخر بالشجاعة والاقدام فليس غريباً على خيلهم أن تطعن أو
تقتل فتغير ألوانها من كثرة الطعان والعجاج.
ويتابع قائلاً:

(١) الأغاني: ١٥/٥.

(٢) زخرخان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات.

(٣) نساح: وادٍ باليمامة. وفي الأغاني: ٥/١٨، تفصيل حول هذه الأبيام
وأخبارها.

(٤) ديوانه: ٥٠.

وما عُيِّلَتْ من عُصْبَةٍ عَرَبِيَّةٍ
 كَمِيلَادِنَا مِنَّا أَعَزَّ وَأكْبَرَا
 وَأَسْرَعُ مِنَّا إِنْ طُرِدْنَا انْصِرَافَهُ
 وَأكْرَمُ مِنَّا إِنْ طُرِدْنَا وَأَظْفَرَا
 وَيَسِيرُ عَلَى هَذِهِ الشَّائِكَةِ ذَاكِرًا أَعْمَالِ قَوْمِهِ الْبَطُولِيَّةِ ضِدَّ خَصْمِهَا
 مِنَ الْقَبَائِلِ الْآخَرَى:

وَنَحْنُ حُدْرُنَا رَهْطُ سَامَةِ بَعْدَمَا
 أَبْنَاوُ مِنَ الْأَجْبَابِ مَبْدَى وَمَحْضَرَا
 وَكِنْدَةُ كَانَتْ بِالْعَقِيقِ مَقِيمَةً
 وَعَكُّ فَكَلًّا قَدْ طَحَرْنَاهُ مَطْحَرَا^(١)
 وَنَحْنُ أَزْلُنَا مَذْحِجًا عَنْ دِيَارِهَا
 وَهَمْدَانِ أَسْقَيْنَا السُّمَامَ وَهَجِيرَا
 وَيَذْكُرُ فِي الْقَصِيدَةِ ذَاتَهَا، مَا فَعَلُوهُ بِالْقَبَائِلِ الْآخَرَى، حَيْثُ
 أَزَالُوهَا عَنْ مَوَاقِعِهَا فَيَطْرُقُوا عَلَى نَجْرَانٍ وَمَنْعُوا الْمَاءَ عَنِ الْأَعْدَاءِ .
 وَعَلَقِمَةُ الْجَعْفِي أَدْرَكَ رَكْضُنَا
 عَلَى الْخَيْلِ إِذْ صَامَ النَّهَارَ وَهَجَّرَا
 وَنَحْنُ ضَرْبِنَا بِالْصَّفَا آلَ دَارِمٍ
 وَذِبْيَانٍ وَابْنِ الْجَوْنِ ضَرْبًا مَذْكُرَا
 أَرْحَنَّا مَعْدًا مِنْ شَرَا حَيْلٍ بَعْدَمَا
 أَرَاهُمْ مَعَ الصَّبْحِ الْكَوَاكِبَ مُظْهِرَا
 وَلَا تَنْجُو نِسَاءَ الْخَصْمِ مِنْ نَصِييْهَا، قَالَ^(٢):

(١) طحر: قذف.

(٢) ديوانه: ٥٧.

ولم ير فيمن وجن الجلد نسوة
أسب لأضياف واقبح منظرا

وهن قبيحات المناظر إلى جانب بخلهن ولؤمهن:

واعظم أقداماً وأصغر أسواقاً واعظم أفواهاً وأرحب منجراً^(١)

وبنو سعد بعيدون عن المفاخر ليس لهم في المجد نصيب على زعم
الشاعر، فهم سارقون فاسقون لثام:

إذا ذكر السعدي فخراً ففضل له

تأخر فلم يجعل لك الله مفخراً

إذا أدلج السعدي أدلج سارقاً

فأصبح مخطوماً بلزوم معذراً^(٢)

يسوقنا ما ذكرناه إلى القول بأن هنالك تداخلاً بين الفخر والهجاء،
فإذا فخر الشاعر فإنه سوف يهجو والعكس صحيح، لأن المقصود من
الفخر أساساً إغائة الخصم والترفع عليه، ولا يتم ذلك إلا بتنقيصه،
وتحقيره، ويبلغ الانتقاص مداه في السب والشتم وهذا ما نهى عنه
الإسلام، لذلك قصر الجعدي فيه بالمقارنة مع الأخطل وغيره ممن
تغلبوا عليه.

وها هو يقول مفاخراً بما قام به من بطولة:

وغارة تسعر المقائب قد سارعت فيها بصلدٍ صمم^(٣)

(١) ديوانه: ٥٨.

(٢) ديوانه: ٥٩.

(٣) ديوانه: ١٥٥. والصلد: الفرس الشديد.

ولكنه سرعان ما يستطرد إلى وصف الفرس ليعود بعد ذلك إلى العتاب.

وخلاصة ما يقال في الفخر، من حيث المعاني قد سار على نهج الجاهلين في منافراتهم. وأغلب الظن أن أكثر مفاخراته كانت قبل إسلامه، ولو أنه لم يفعل كغيره ممن نهشوا الأعراض وسبوا وشتموا من أجل أن يُظهروا أنفسهم، فقد حصر فخره بالشجاعة والبطولة والاقدام. وهو لم يفاخر بفضائله فحسب، بل فاخر بقومه ونوّه بمنجزاتهم.

الوصف:

وهو فنٌ قديم يعتمد على دقة ملاحظة الشاعر، وعبقريته في نقل المشاهدات المحسوسة، والمرثية منها خصوصاً، عن طريق الكلام المنظوم شعراً. ولكن الجاهلين لم يعرفوا الوصف كفنٍّ مستقلٍّ، بل اعتبروه من مميزات الموضوع الأساس مدحاً كان أم فخرأ أم هجاء. والنابعة الجعدي، لم يختلف عن شعراء عصره في ذلك، إلا في كونه قد تفوّق عليهم في وصف الفرس وهذا بشهادة النقاد فنقل^(١) ابن سلام أنه أوصف الناس لفرس. قال^(٢):

غدا مَرِحاً طرباً قلبه لَبِيقٌ وأصبح لم يَلْقَبِ^(٣)
كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابٌ وَعُولٌ لَدَى مَشْرِبِ^(٤)

(١) طبقات فحول الشعراء: ٥٤، والقول لبونس بن حبيب النحوي.

(٢) ديوانه: ١٩.

(٣) لبين: تعين.

(٤) وعول: جمع وعل وهو ذكر الأروى. الأرساغ: جمع رَسغ: ما بين الحافر والوظيف.

كَأَن حَوَافِرَهُ مُدْبِرًا خَضِبْنَ وَإِنْ كَانَ لَمْ يُخْضِبْ

فالفرس نشيط خفيف، وأرساغه غليظة منحنية غير متتعبة حتى إنها تشبه رقاب الوعول التي مدتها لتشرب. والحوافر سود كأنها خضبت وهي لم تخضب. وهكذا فهو يمضي في وصف الفرس متدرجاً مفصلاً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فيذكر الساقين والذراعين والمنكب والبطن والظهر، ثم يتقل إلى صوته وسقوطه من أعلى إلى أسفل، قال^(١):

ويصهلُ في مثل جوف الطويِّ صهيلاً يبين للمعرب
ومن دون ذاك هويٌّ له هويٌّ القُطامي للارنبي^(٢)

وقال^(٣) في قصيدة أخرى:

وعناجيحٌ جياذٌ نُجِبٌ نجلٌ فياضٌ ومن آل سَبَلٍ^(٤)
قَصِرَ الصَّنْعُ عليها دائماً فإذا الصاهلُ منهنَّ ضَهْلٌ
جاويتهُ حُصْنٌ مُسَكَّةٌ أرناتٌ لم يلوّحها الهَمَلُ^(٥)
مثلٌ عزفٌ الجن في صلصلةٍ ليس في الأصوات منهنَّ صَحْلٌ^(٦)

(١) ديوانه: ٢٣. الطوي: البئر المطوية. المعرب: من يملك خيلاً عرباً.

(٢) الهوي: السقوط. القُطامي: الصقر.

(٣) ديوانه: ٨٦ وما بعدها.

(٤) عناجيح: جهاد الخيل. الواحد: عنجوج. فياض: اسم فرس لبني جمدة. سَبَل: فرس لبني جمدة أيضاً.

(٥) أرن: نشيط. الهمل: الكسل. مسكة: محجلة الأطراف.

(٦) عزف الجن: صوته. الصَّحْل: البُحّة.

فجرى من منخريه زَبْدٌ مثل ما أثمر تخاض الجبل^(١)

إذا هي خيول عربية أصلية كريمة، نشيطة قوية، إذا صوّتت جماعة منها، أجابتها جماعة أخرى فتختلط الأصوات فتصدر ضجيجاً وصخباً حتى لكأنما الجن تعزف، وحصان الشاعر يجري الزبد من منخريه أحمر كالدم من شدة نشاطه وخفته. وفي هذا المجال برع أيضاً من وصف البقرة الوحشية التي أضاعت ولداً لها فطافت تطلبه ثلاث ليال وأيامها، ولا تملك شيئاً إلا أن تصيح:

فباتت ثلاثاً بين يومٍ وليلةٍ
وكان النكير أن تُضيف وتجاراً
وباتت كأن كشحها طي ربيعة
إلى راجح من ظاهر الرمل أعفرا^(٢)

ومن أحسن تشبيهاته - وهي كثيرة - قوله:
يمور الندى في مدربيها كأنه
فريد هوى من سلكه فتحدّرا
وقد شبه الندى على المدرى بحبات العقد من اللؤلؤ إذا هوى من سلكه وانفرط. وفي مكان آخر يتحدث عن حنين الخيل الذي يشبه فحيح الأفاعي قال^(٣):

فأرسل في دهم كأن حنينها
فحيح الأفاعي أعجلت أن تمجرا

(١) الخياض: من يقول لها ثمر أحمر.

(٢) الديوان: ٦٤. والكشح: البطن والخاصرة. الربطة: ملامعة ذات لفتين أو ثوب لين رقيق.

(٣) الديوان: ٦٦.

لَهَا حَجَلٌ قُرْعُ الرُّؤُوسِ تَحَلَّتْ
عَلَى هَامَةٍ بِالصَّيْفِ حَتَّى تَمُورَا
وَيُصِفُ تَقْرِيبَ حَصَانِهِ قَائِلًا^(١):

يَبْدُ الْجِيَادَ بِتَقْرِيبِهِ وَيَأْوِي إِلَى حُضْرٍ مُلْهَبٍ^(٢)
كُمَيْتُ كَأَنَّ عَلَى مَتْنِهِ سِبَائِكُ مِنْ قِطْعِ الْمَذْهَبِ^(٣)

وبناءً على كل ما تقدّم، فإن الجعدي قد برع براعة فائقة في وصف الخيل كما وصف البقرة الوحشية، ولم يُعر اهتماماً كبيراً لغيرهما من الحيوانات، كالناقة أو الأسد.

الحكمة والخواطر:

لا تصدر الحكمة إلا عن رجل خبير مجرب، وهذا أمر طبيعي، لأن الحكمة قول مأثور يهدف إلى إصلاح وتقويم الآخرين، فلا بدّ للحكيم من أن يمتلك العناصر التي تتحوّل أن يقول الحكمة، والناطقة الجعدي الذي عاش دهرأ في الجاهلية ودهراً في الإسلام، قد خبر الحياة والناس، ورأى الحلو والمر، وعاش الأشرار والأخيار، وفهم الإسلام حق الفهم، وحمل الدعوة وبلغها وعمل على نشر مبادئ الدين الخفيف بكل ما أوتي من قوة وعقل وعلم. لذلك، نراه قد جمع من معطيات الحكمة ما يجعله قادراً على الوعظ بعيداً عن التكلف والعناء، فجاءت حكمه مفعمة بعنصر الخير، داعية إلى المكارم

(١) الديوان: ٣١.

(٢) التقريب: أن يرفع الحصان يديه ويضعها معاً، وهو ضرب من العدو. الحضر: العدو. ملهَب: مثير للهب لشدته. ويَبْدُ: يغلب.

(٣) كُمَيْت مذهب: تعلقو حمرة صفرة.

والفضائل بمعناها الشامل والواسع . فها هو يتناول الحلم والجهل ،
ولا ريب أن القضية كانت من قضايا عصره الكبرى وخصوصاً في
البادية قبل البعثة النبوية ، حيث الطيش والسفه ، قال^(١) :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له
بوادِرُ نَحْمِي صفوه أن يكذرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له
حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرًا
ففي الحلم خيرٌ من أمورٍ كثيرةٍ
وفي الجهلِ أحياناً إذا ما تعدّرا
وتناول العيش والفقر والعسرة ، فعبر عما يؤرق المرء ويقض
راحته ، ويحث عن الحل ، فحضر على السعي كي لا يقع في الفاقة
أو الشكوى ، قال^(٢) :

ولا ترضى في عيشٍ بدوٍ ولا تنم
وكيف ينام الليل من بات مسعرا
فبر في بلاد الله والتمس الفنى
تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا
لم يقتصر الأمر ، في هذين البيتين ، على طلب الرزق دفعاً للفقر ،
إنما القضية تتعلق بالكرامة ، فليس للإنسان أن يذل نفسه ، إذا كان
قادراً على الكسب الشريف ولو أدى به السعي إلى الموت . وللإنسان
بنظره ، دور لا بد أن يؤدّيه في هذه الحياة فيأمره بأن يضرب الأعداء

(١) ديوانه : ٧٣ .

(٢) ديوانه : ٧٣ .

والأشرار، إن لم يستطع أن ينفع أصدقاءه، قال^(١):

إذا أنت لم تنفع فضراً فلئما
يرجى الفتى كيما يضرّ وينفع

ولعمري، إن الجمعي بلغ في البيت من حسن المقابلة ما لم يبلغه غيره، فالأمر بالضرر ليس مقصوداً على الإطلاق فهو أراد أن يحث على النفع لمن يستحقه، والإضرار كذلك لمن يستحق الضرر. ويستمر في نزعة الخير، فيقرر حقيقة قديمة، ويذكر بها لعل العاقل يتذكر وهي صراع الخير والشر، والشر أكثر انتشاراً قال^(٢):

كذاك لعمري السدهر يومان فاعرفوا
شرور وخير لا بل الشر أكثر

من هنا، كانت دعوته، في ما تقدم، من أمره بإضرار من يستحق، وكأنه أراد أن يلفت إلى مبدأي الثواب والعقاب، فالإحسان لمن أحسن والعقاب لمن أساء. قال^(٣) في هذا المعنى:

فلنّ لدى الموت مندوحة وإن العقاب على المذنب^(٤)
ومن تأملاته التي تتضمن تقريراً لواقع الحال، وفيها موعظة لمن يرغبون في العمر الطويل، لأن طول العيش قد يضر قال^(٥):

المرء يرغب في الحياة	وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى	بعد حلّ العيش مرة

(١) ديوانه : ٢٤٦ .

(٢) ديوانه : ٦٩ .

(٣) ديوانه : ٣٠ .

(٤) المندوحة : السعة .

(٥) ديوانه : ١٩١ .

ويبدو أنه قال هذين البيتين في آخره من حياته، أي بعد أن رأى من الحياة ما يسره وما يسوؤه، فتبين له في نهاية الأمر أن ما يتكبد على الإنسان عيشه يزداد ويتراكم مع مرور الأيام، وخصوصاً إذا كان من الأخيار، باعتبار أن الشر موجود وفي صراع دائم مع الخير، فكيف يجد السعادة من طال به العمر، وتكاثرت من حوله الشرور؟! .

يتضح من خلال ما عرضناه، أن للجمعي مدرسته الأخلاقية القائمة على المبادئ الإسلامية الداعية إلى المكارم . ولا ريب في أن الشاعر قد احتفظ بعناصر بذوية كثيرة، فيما يتعلق بأعمال المروءة، ففاخر بها وتغنى، واستمد منها لترفده في مواعظه وتأملاته، ولا يخفى على ذي نظر، ما كان لعمره المديد من أثر في توجيه تلك الخواطر توجيهاً أخلاقياً سديداً مبنياً على نظر ناقد وخبرة عميقة .

أما من حيث المبنى، فقد جاءت حكمه وتأملاته تعبيراً عضوياً عما في داخله وما تجتمع لديه من أثر السنين، وهكذا ابتعد عن التكلف والتصنع، فجاءت الأفكار واضحة قريبة المتناول ليس فيها ما يشوبها . والألفاظ تشاكل المعنى فيها خفة وسهولة في أكثر الأحيان، ولا يلمع فيها أثر البادية كما في أغراضه الأخرى، وذلك، لا شك بتأثير البيئة الإسلامية .

إسلامياته :

قد علمنا أن النابغة الجمعي قد أمضى جزءاً من حياته في الجاهلية، ثم أكرمه الله بالإسلام، فازداد خوفه من الله مع تعمقه في الدين وتفقهه فيه، فكثيراً ما يتحدث عن التقوى ويستمد معانيه في

ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقال^(١) ينفي الغدر عن نفسه ويرد ذلك إلى خوفه من الله تعالى :

مَنْعُ الْغَدْرِ فَلَمْ أَقْمَمْ بِهِ وَأَخُو الْغَدْرِ إِذَا هُمْ فَعَلُ
خَشْيَةُ اللَّهِ وَأَنَا رَجُلٌ إِنَّمَا ذَكَرِي كَنَارٍ بِقَبْلِ^(٢)

ولا يكف في كل مناسبة أن يذكر نعمة الإسلام، ويعبر عن انشراحه وسروره حيث تحوّل عن ظلمات الجاهلية إلى الهدى والقرآن . قال^(٣):

وَعَمِرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهَدْيِ وَقُضِيَ أَرْعُ تَتْلَى مِنَ الْفَرْقَانِ^(٤)
وَلَيْسَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ ثَوْباً وَاسِعاً مِنْ سَبَبٍ لَا حَرِمَ وَلَا مُنَانٍ^(٥)

ويخرج مجاهداً في سبيل الله تعالى، فتحزن زوجته، وتبكي على فراقه، فيواسيها ليقبّل من وقع الصدمة عليها، ولا يجد حيلة ينفذ بواسطتها إلى قلبها لتهدأ إلا ما جاء في كتاب الله، من أمر بالجهاد، ولا مجال للتخلّف عنه إلا لذي عذر وهو ليس كذلك، ولا داعي للخوف لأن الحوادث مقدّرة ولا يكون إلا ما شاءه الله تعالى قال^(٦):

يَا بِنْتُ عَمِّي كُنَّابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي
كُرْهاً وَهَلْ أَمْنَمَنْ اللَّئُ مَا فَعَلَا

(١) ديوانه : ٩٦ .

(٢) القَبْلُ : النشز من الأرض .

(٣) الديوان : ٢٠٧ .

(٤) القوارع من الآيات : آيات الوعد والوعيد .

(٥) الرجل الحرّم : المانع . والسبب : العطاء .

(٦) الديوان : ١٩٤ .

فإن رجفتُ فربُّ الناس يُرجعني
وإن لحقتُ بربي فأبتنفي بدلا
وهو لا يخرج تنفيذاً للأمر فحسب، لكنه يطمع أيضاً بالشهادة.
وهو يستوحى بعض معانيه من الكتاب الكريم، ويعبر^(١) عنها بطريقة
فنية رائعة، فالمسلم لا ييأس إذا أصابه ما يكره، ولا يتكبر إذا أثرى:
إذا مسّه الشرُّ لم يكتشب وإن مسّه الخيرُ لم يُعجب
وذلك على خلاف الإنسان الضعيف الذي تسيطر عليه شهواته،
فلا يستطيع صبراً على ما يصيبه، فهو شديد الخوف عند المكارِه،
قليل الخير إذا امتلك الثروة، يقول^(٢) في معنى التصبر والتسليم
للقضاء:

وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دفعه
فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ولا تغيب صورة الجنة عن ذهنه وتخيلته فيقول:
فأدخلك الله برّد الجنانِ جذلان في مدخل طيب
وإذا تحدث عن الحوادث، نفى علم ما سيأتي منها، فلا يعلم
الغيب إلا الله تعالى ولكن الإنسان يعلم ما مضى بعد حدوثه،
قال^(٣):

-
- (١) ديوانه: ٣٣. انظر القرآن الكريم: ﴿وخلق الإنسان هلوعا﴾. إذا مسّه الشرُّ
جزوعا. وإذا مسّه الخيرُ منوعا سورة المعارج: الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.
(٢) ديوانه: ٣٥. ويرتبط معنى البيت بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.
(٣) ديوانه: ٣٣.
(٤) ديوانه: ٣٥.

لوى اللُّهُ علمَ الغيبِ عمن سِوَاهُ
ويعلمُ منه ما مضى وتأخرا

أما الماضي، فتبقى منه صور عالقة في الذهن، لا تغيب عنه. من ذلك تطوافه في البلاد وبحثه عن الحقيقة، قبل أن يفد على النبي ﷺ، فقابل الرهبان والأخبار وأطلع على النصرانية واليهودية، ولكنها لم يقدما إليه ما كان يبحث عنه من العلم، حتى أنفذ الله أمره، وبعث نبيه محمداً ﷺ.

ومما يروى^(١) عنه، أنه كان في الجاهلية، يذكر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحنيفية، ويصوم ويستغفر، وكان يعمل عقله ويحسن التفكير، وقال في تلك الفترة^(٢) قصيدته المشهورة التي يث فيها الكثير مما وعاه واعتقده وعرفه عن الله عز وجل، وعن صفاته تعالى، بالإضافة إلى مواعظ كثيرة أخرى. قال فيها:

الحمدُ لله لا شريكَ له من لم يقلها فنفسه ظلما
الخالقِ الباريءِ المصورِ في الأرحامِ ماءً حتى يصيرَ دما

يفتح بحمد الله تعالى، والثناء عليه، ويقرّ بالوحيته ووحدانيته، ويعتبر أن الذين لم ينطقوا بكلمة التوحيد قد ظلموا أنفسهم، يتقل إلى صفة من صفاته تعالى وهي صفة الخلق، وتصوير ما في الأرحام من نطفة يخلق بشراً سواً.

ولا يخفى ما في البيتين من توافق مع ما دعا إليه القرآن الكريم،

(١) الأغاني ٩/٥. القصيدة في الديوان: ١٣٢.

(٢) في الأغاني: ٩/٥: «وقال في الجاهلية كلمته التي أولها: الحمد لله لا شريك له... (البيت)». وقد قيل: إن هذا الشعر لامية بن أبي الصلت. ولكن أكثر الرواة صحّحوها نسبته إلى الجعدي.

ويبدو ذلك واضحاً في معظم آيات القصيدة، فهي هو يتحدث عن الليل والنهار، ليستدل من خلال تقلبهما على قدرة الخالق سبحانه :

المولجُ الليلَ في النهارِ وفي الليلِ نهاراً يفرجُ الظلماً^(١)

والله تعالى هو الذي رفع السماء بغير عمد :

الخافضُ الرافعِ السماءَ على الـ أرضٍ ولم يبين تحتها دعماً^(٢)

وكذلك اختلاف الأصوات واللغات، والطبائع والألوان والأرزاق، ليس صدفة، إنما قدر الله ذلك .

ويبحثُ على التقوى، ويذكر الإنسان بمصيره المحتوم، فلا عصمة إلا لمن نال رحمة الله، والمؤمن يعزه الله تعالى كما يذل الكافر. قال، بعد أن تحذاهم بأنه لن ينفعهم أرض ولا سماء :

في هذه الأرضِ والسماءِ ولا عصمةٌ منه إلا لمن رحماً^(٣)

ثم يشير إلى الأمم البائدة، والتي شيدت، في حقبة من التاريخ، الممالك وبلغت من القوة أي مبلغ، فدولة الفرس زالت وكذلك دولة سبأ، وسادة الأمم صاروا عبيداً، وساكنو القصور تحولوا عنها إلى الخيام، قال :

فمُزقوا في البلاد واعترفوا الـ
هُونَ وذاقوا البأساء والعَذما

(١) هو من قوله تعالى في سورة الحديد : ٦ : ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ . والمعنى أنه يدخل هذا في ذاك والعكس .

(٢) هو من قوله تعالى في سورة الرعد : ٢ : ﴿الله الذي رفع السموات بغير غيبٍ نرونها﴾ .

(٣) هو من قوله تعالى في سورة هود : ٤٣ : ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رُحِم﴾ .

وَبَدَّلُوا السُّدْرَ وَالْأَرَكَ بِهِ الـ
 حَفِظَ وَأَضْحَى الْبَنِيَانُ مُنْهَدِمًا^(١)
 وفي نهاية القصيدة يطلب العفو من ربّه، ويتوسّل إليه أن يعفده
 عن النار.

وبعد هذه الأمثلة والشواهد التي سقناها من القصيدة، يبقى
 السؤال: هل صحيح أن كل القصيدة نظمت في الجاهلية؟ بحسب
 رواية الأغاني فإنها كذلك، ولكن الأمر اللافت هو هذا الحشد الهائل
 من المعاني الدينية التي تضمّنتها القصيدة، ما يرجح عندنا الميل إلى
 من يقول بأنها قيلت في الإسلام، إن لم يكن كلها فبعضها، وعلى
 الأقل تلك الآيات التي تتضمن المعاني الإسلامية الكبرى كمعنى
 الحمد، وظلم النفس والخلق والتصوير في الأرحام.

ومهما كانت الحال، فإن القصيدة تميّزت بوضوح أنكارها، وسهولة
 ألفاظها، واعتمد في قسمها الأول أسلوب السرد القصصي ثم
 الخطاب المباشر (فائثمروا الآن...)، (يا أيّها الناس...). ويخلص
 إلى تقرير ما أراد أن يوصله إلى الناس من وراء موعظته.

أما أبياته الأخرى، فقد جاءت متناثرة في مناسبات مختلفة وفي
 أماكن متفرقة، كلها يتفق في المبدأ والجوهر، وأثر القرآن فيها جلي
 تماماً، والدعوة فيها إلى دين الله هي الأساس:

(١) هو من قوله تعالى في سورة سبأ آية: ١٦: ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
 الْعَرَمِ وَيَذْلَنَاهُمْ بِجَتِّهِمْ جَتَّتِي ذَوَاتِي أَكَلِ خَطِ وَأَثَلِ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
 ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾. السدر والأراك: شجر لا يتفتح بشمره. الحفط:
 ثمر الأراك.

فالحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي
حتى لبستُ من الإسلام مربالاً^(١)

الرثاء:

كان الرثاء في الجاهلية يمثل نشيد الموت والتفجع، وتميز بالصخب والعيول والبكاء على القتل والأموات من الأجيّة أو من أفراد العشيرة، وارتبط ازدهار هذا الفن بالعصبية الدموية من جهة، ولأن الجاهليين كانوا لا يعرفون أن حياة أخرى تنتظرهم بعد الموت، من جهة أخرى.

أما في الإسلام، فقد انخفض صوت الرثاء، وضعف خصوصاً في عهد النبي ﷺ. وهكذا يسير النابغة في جاهليته على طريقة معاصريه، فيفخر ببطولات قومه كما بينا ويرثي من يسقط منهم قتيلًا، وأكثر ما تتجلّ عواطفه المتفجرة في رثائه لأخيه وحوج الذي قتله بنو أسد فقال^(٢):

ومن قبله ما قد رُزئتُ بوخوج
وكان ابن أُمي والخليل المصافي^(٣)
فني كملت أخلاقه غير أنه
جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا
فني تمّ فيه ما يسرُّ صديقه
على أن فيه ما يسوء الأعدايا

(١) الديوان: ١٠١.

(٢) الديوان: ١٧٣.

(٣) الرزء: الحمية. رُزئت: أُصبت. والضمير في «قبله» يعود إلى ابنه محارب الذي ذكره في بيت سابق وكان أصيب به هو أيضاً.

إلا أن هذا الرثاء، لم يصل في ضجيجيه، إلى ما وصل إليه رثاء الخنساء^(١) في أخويها. ولكن العاطفة تتأجج فيها، والصدق يجيم على كل بيت، لذلك جاءت الأبيات بعيدة عن التكلف، وقد وفق الشاعر أيما توفيق في حسن المقابلة في البيت الثالث، إذ جمع في أخيه كل صفات الكمال البشرية من الكرم والشجاعة والأنفة مما يسر به الصديق، ويستاء به العدو.

الغزل

عرف الجاهليون الغزل لارتباطه بالمرأة وما تمثله، فهي كانت، عندهم، رمزاً للفرح، وهي الصديقة والحبيبة، فضلاً عن كونها أمّاً أو اختاً. فتغزلوا بها، ووصفوا جمالها، وتغنوا بمفاتنها الجسدية، وبكوا على فراقها ووقفوا على أطلالها، وخاطبوها لأنها تذكّرهم بالحبيبة. وللدلالة على أهمية المرأة، جعلوا الغزل في افتتاحيات القصائد، ليتنقلوا بعدها إلى أغراض أخرى.

وفي صدر الإسلام، لم يتغير الأمر كثيراً، إلا من حيث المعاني، فقد تغزل الشعراء ولكنهم لم يفحشوا القول ولم يذكروا المفاتن الأنثوية الجسدية، بل اكتفى أكثرهم بالتعبير الوجداني عمّا فعلته الحبيبة بمفارقتها ورحيلها، وشوق الشاعر إليها. والناطقة الجعدي لم يخرج عن هذا المنهج بل التزمه في أكثر قصائده. من ذلك قوله^(٢):

هل بالديار الغداة من صمم
أم هل بربع الأنيس من قدم

(١) هي تماضر بنت الشريد، شاعرة جاهلية، أدركت الإسلام وأسلمت.

(٢) ديوانه: ١٤٨.

أَمْ مَا تَنَادِي مِنْ مَائِلٍ
 تَرَجَّ السَّيْلُ عَلَيْهِ كَالْحَوْضِ مُنْهَدِمٍ^(١)
 كَانَ بِهَا بَعْضُ مَنْ هَوِيَتْ وَمَنْ
 يَلْقَى سُرُوراً فِي الْعَيْشِ لَمْ يَدُمِ
 يَسْأَلُنِي صَاحِبِي بِدَائِي وَقَدْ
 نَامَ عِشَاءً وَبِثُّ لَمْ أَنْمِ
 وَهَكَذَا يَقِفُ كَمَا وَقَفَ أَمْرُ الْقَيْسِ وَزَهْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى وَعَنْتَرَةُ
 يَخَاطَبُ الدِّيَارَ، دِيَارَ الْحَبِيبَةِ الَّتِي غَادَرَتْ، وَمَا تَرَكَتْ لَهُ إِلَّا الْأَلَمَ
 وَالسَّهْرَ، وَهُوَ، كَانَ يَكْتُمُ حَبَّةَ فِي صَدْرِهِ، وَمَا كَانَ لِيُبْرَحَ بِاسْمِ الْحَبِيبَةِ
 إِلَّا كُنَايَةً خَوْفاً مِنَ الْخَاسِدِينَ وَالْمُبْغِضِينَ:

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمٍ
 مَخَافَةَ الْكَاشِحِ الْمَكْتَرِ أَنْ يَطْرَحَ فِيهَا عَوَاتِرَ الْكَلِمِ

وبعد ذلك الكلام الخارج من القلب، الذي عبّر فيه عن خفايا
 نفسه المنسحقة بسبب شوقه للحبيبة ينتقل إلى ذكر صفاتها الحسنة
 والمميّزة: فهي طيّبة الرائحة رائحة الفم والأنف في كل حال، ومما
 يزيد من حسن ثغرها وطيب رائحته أنها تستعمل سواكاً من شجر
 الضرو اليمني وهو من أجود الأشجار التي يستخدم خشبها لهذا
 الأمر، أما وجه الحبيبة فهو شديد البياض كليلة مقمرة، وكالزهرة
 الغراء، قال:

طَيِّبَةُ الشَّيْبِ وَالْبُدَاهَةِ وَالْعِلَابِ عِنْدَ الرِّقَادِ وَالنَّسَمِ

(١) مائل: دارس. الحوض: مجتمع الماء.

كَأَنَّ فَاهَا إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ طَيِّبٍ مَشَمَّ وَحُسْنِ مُبْتَسِمٍ
غُرَاءَ كَاللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَمَرَاءَ تَهْدِي أَوَائِلَ الظُّلَمِ

وثغرها كالأقحوانة، أما الرُّضَاب، فهو كالخمرة، أو كماء المزن من ماء دُومَةٍ في لَذته وبرودته .

والملاحظ هنا، أَنَّ الصُّور والمعاني المستخدمة ليست بعيدة عن طرائق معاصريه، فالتغني بطيب النفس وتشبيه الثغر بالأقحوانة، وغير ذلك مما ورد من صور وتشبيهات، يمثل مرتكزات وأساساً قام عليها الغزل في عصري الجاهلية وصدر الإسلام . فإذا ما أجرينا مقارنة سريعة بين مقطوعتين غزليتين لشاعرين من الفترة ذاتها، نجد أَنَّ حبيبة كلٍّ منها تحمل الصفات ذاتها، ونُرجع ذلك، وببساطة، إلى اتفاق شعراء ذلك العصر على معايير موحدة ومعروفة لجمال المرأة انطلاقاً من المعطيات الثقافية والبيئية لذلك العصر .

وقال^(١) يتذكّر أميمة التي أحبها حتى استولت على قلبه وسرعان ما بعدت :

تَذْكُرْتُ ذَكَرِي مِنْ أَمِيمَةٍ بَعْدَمَا
لَقِيتُ عَنَاءَ مِنْ أَمِيمَةٍ عَانِيَا
بَدْتُ فِعْلَ ذِي وَدٍّ فَلَمَّا تَبَعْتُهَا
تَوَلَّتْ وَأَبْقَتْ حَاجَتِي فِي فُؤَادِيَا
وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيَا
سَوَاهَا وَلَا عَنْ حُبِّهَا مُتَرَاخِيَا
وَيَتَنَّى وَصَالَهَا، وَلَوْلَمْ تَفَارِقْهُ لَمَا أَبْغَضُهَا :

(١) ديوانه : ١٧٠ .

ولو دام منها وصلها ما قلبتها
ولكن كفى بالمهجر للحب شافيا
وما راها من ريسة غير أنها
رأت لمي ثابت وشاب لداتيا
ولو بحثنا مع الشاعر عن سبب المهجر، لوجدنا أنها ارتابت
وابتعدت عنه عندما رأت شيه ظاهراً على لميته فلم يعد يرضي
تطلعاتها.

ومن محبوباته اللواتي ذكرهن في شعره غير أميمة، سليمي :

وقالت سليمي أرى رأسه كناية الفرس الأشهب^(١)
كما ذكر سليمي :

أيا دار سليمي بالحرورية اسلمي إلى جانب الصمان فالتلم^(٢)
وليلي ذكرها بقوله :

تأبّد من ليل رُمّاح فعاذب وأقفر من حلّهنّ التناضب^(٣)
وأمامة :

قالت أمامة كم عُبرّت زمانة
وذبحت من عتر على الأوثان^(٤)

كما ذكر امرأة باسم «ابنة المجنون» ولكنه لم يتغزّل بها بل
هجأها^(٥).

(١) ديوانه : ١٣ . وتشبه الرأس بناصية الفرس الأشهب كناية عن الشيب .

(٢) الحرورية : موضع . وكذلك الصمان والتلم .

(٣) ديوانه : ١٨١ ، ورُمّاح : موضع بأرض بني ربيعة . وكذلك عاذب والتناضب .

(٤) ديوانه : ٢٠٦ . العتر : شاة كانت تذبح للأوثان في الجاهلية .

(٥) ديوانه : ٢٠٦ قال :

مالي وما لابنة المجنون تطرقني بالليل إن نهاري منك يكفيني

ومما قاله^(١) في وصف مغنية :

ولدينا قينةٌ مُسبِعةٌ ضخمةُ الأردافِ من غيرِ نفْسٍ
يعجبه فيها صوتها ومنظرها، وخصوصاً أردافها الممتلئة وهذا على
طريقة معاصريه .

وخلاصة القول في غزلياته أنه تغزل بنساء كثيرات، ولم يكتف
بذكر حبيبة واحدة، وأمعن في ذكر المحاسن الجسدية للمرأة، لونها
وبياضها، أسنانها، فمها، رائحتها، أردافها . كما كشف عن بعض
ميل المرأة النفسية، فهي تفضل الشباب على الشيوخ، وفي الوقت
ذاته، هو يعبر عن إدراك الرجال بأن التقدم في السن قد يكون مانعاً
من إقامة علاقات غرامية مع النساء، ومع ذلك لم يخف ميله إليهن في
أكثر من موضع خصوصاً في مخاطبته لأبيمة^(٢) .

أما أسلوبه وصوره، فاستمدّهما من بيئته، ولم يأت بما هو جديد
إلا في أسلوب الكناية . ولكن ثمة صورة تستوقفنا، إذ إنه يذكر
ابتسامة الحبيبة فيشبهها بالنور، والمعروف أنهم يشبهون الوجه وبهاء
النور، أما أن تُشبه الابتسامة بالضوء، بل هي تضيء الليل وتكشف
الظلام، فهذا ليس مألوفاً، قال^(٣) :

إذا ابتسمت في الليل والليل دونها
أضاء دُجى الليل البهيم ابتسامها

(١) ديوانه : ٢٤٥ .

(٢) راجع ص ٧٠ من هذا الكتاب .

(٣) الديوان : ٢٣٨ .

اللهو والخمريات :

التنزل بالخمرة ووصفها كثير في شعر الجاهلين، والخمرة عندهم كالغزل، هي رفيقة الشاعر أينما حلّ، فهي تواسبه، على زعمه، وتنسيه الموم والأحزان، وتنقله إلى عالم آخر غير عالم الواقع، حيث يشعر بلذة لا تعدّها لذة^(١) لذلك كثير منهم كانوا إذا ذكروا المرأة، ذكروا الخمرة وفعلها في نفوسهم. والناطقة الجعدي له في هذا المجال، أي في مجالس اللهو، ووصف الخمرة، ولو أنّ ما بين أيدينا من خبرياته قليل، ولكنّه على قلّته يعطينا صورة واضحة عن منهجه وصوره، ومما يقوله^(٢):

ولقد اغدو بشرب أنف
قبل أن يظهر في الأرض ربّش^(٣)
معنا زق إلى سُمّة
نشق الأكال من رطب وهش^(٤)
فنزلنا ببيع مُقفر
منه طل من الدجن ورش^(٥)
ولدينا قينة مُسمعة
ضخمة الأرداف من غير نفش^(٦)

(١) إن الخمرة لا تنقل الإنسان إلّا من الوعي إلى اللاوعي أي تجعله كالمجنون!

(٢) ديوانه : ٢٤٤ .

(٣) الشرب؛ اسم جمع لشارب. الریش: العشب والنبات.

(٤) سُمّة: خوص يجعل شيئاً بسفرة. الأكال: ما يؤكل. الهش: اليابس.

(٥) مبيع: مفازة. الطل: الندى. الدجن: المطر الكثير والغيم المظلم. الرش: المطر الخفيف.

(٦) قينة: مغنية.

إِذَا تَوَجَّهَ الشَّاعِرُ مَعَ جَمَاعَةِ الشَّارِبِينَ وَالْقَاصِفِينَ، إِلَى الْمَقَازَةِ حَيْثُ الْمَكَانَ خَلَوْا إِلَّا مِنْ آثَارِ الْمَاءِ، وَفِيهِ بَعْضُ الْأَعْشَابِ، وَيَصْجِبَتُهُمْ وَعَاءُ الْخَمْرَةِ وَمَا يُلْزِمُهُمْ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ، فَضْلاً عَنْ مَغْنِيَةِ حَسَنَاءِ تَطْرِبِهِمْ، وَخَادِمٍ يَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ، فَأَمْضُوا يَوْمَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ وَأَكَلُوا شِوَاءً مِنَ اللَّحْمِ الْغَرِيضِ:

فَاشْتَوَيْنَا مِنْ غَرِيضٍ طَلِيبٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ وَأَبْنَا بَغْبِشٍ^(١)

وَمِنْ خَرِيَّاتِهِ، الَّتِي أَجَادَ فِي نَسَجِهَا الْفَنَى، أَيْبَاتٍ مِنْ مِيمَتِهِ جَمَعَ فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْخَمْرَةِ مَا تيسَّرَ لَهُ، فَسَاوَى بَيْنَ الْخَمْرَةِ وَبَيْنَ رِيقِ الْمَحْبُوبَةِ ثُمَّ ذَكَرَ أَسْمَاءَ الْخَمْرَةِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ حَيْثُ قُوَّةُ تَأْثِيرِهَا وَخِلَاصَتُهَا وَأَوَّلِيَّتُهَا وَمِلَازِمَتُهَا لِلْعَقْلِ وَذَهَابُهَا بِهِ فَقَالَ^(٢):

عُلَّتْ بِهِ قَرْقَفٌ سُلَافَةٌ إِسْفَنْطُ عَقَّارٌ قَلِيلَةُ النَّدَمِ^(٣)
وَيَذْهَبُ لِيَتَغْنَى بِمَا فِيهَا مِنْ مَسْكٍ وَفَلْفَلٍ، تَشْتَهَرُ بِهِ دَارِينَ فِي الْبَحْرَيْنِ.

الْفَنَى فِيهَا فَلْجَانُ مِنْ مَسْكٍ دَارِينَ وَفَلْجٌ مِنْ فَلْفَلٍ ضَرِيمٍ^(٤)
وَتَطَّرَقَ إِلَى تَخْزِينِهَا وَحِفْظِهَا فِي التَّرَابِ بَعْدَ وَضْعِهَا فِي الدَّنِّ وَخَتْمِهِ:

رُدَّتْ إِلَى أَكْلَفِ الْمَنَاقِبِ مَرْسُومٍ مُقِيمٍ فِي الطِّينِ عَتِيدٍ^(٥)

(١) ممنون: مقطوع. أبنا: رجعنا. الغبش: بغية الليل.

(٢) الديوان: ١٥٢.

(٣) قرقف: خرة تذهب بالعقل. سلافة: أول الخمرة. إسفنت عفار: خرة نلازم العقل.

(٤) الفلج: مكيال.

(٥) اكلف المناكب: كناية عن الدن. مرسوم: مختم بالروسم.

وهو، أي الوعاء، يشبه جون الحمار، فلا تجد فيه حامضاً ولا هو
متكسراً.

جَوْنٌ كجَوْنِ الحمارِ جَرَدَه الخِرَّاسُ لا ناقِسٍ ولا هَزِيمٍ^(١)
ولم يفته أن يتغنّى بلونها الأحمر وصفائها:

وصهباء لا تخفي القذى وهي دونه
تُصفق في راووقها ثم تُقَطَّبُ^(٢)

شربتُ بها والذبيكُ يدعو صباحه
إذا ما بنو نعشٍ ذنوا فتصوبوا^(٣)

فتبدو من خلال الزجاج صافية نقية، كما يرى القذى في أسفل
الزجاجة لشدة صفائها.

وهو لا يملأها فيلذّ له شربها حتى الصباح، حيث تدعوه فتاة بيضاء
حسناء إلى البقاء معها، لكنه يترفع عن ذلك! ومن الجدير بالذكر أن
الأعشى^(٤) كان ممن سبقوا إلى هذا المعنى في الجاهلية حيث قال^(٥):

صهباء صافية إذا ما استودفت
شجبت غواربها بماء غوادي

(١) الجون: وسط الشيء. الخراس: صانع الدنان. هزيم: متكسر.

(٢) ديوانه: ٤. صهباء: حمرة معتقة. القذى: ما سقط فيها. الراووق: ما يروّق الحمرة.

(٣) بنو نعش: الأصل بنات نعش: سبعة كواكب. تصوبوا: دنوا من الأفق للغروب.

(٤) هوميون بن قيس الأعشى الأكبر، شاعر الحمرة الأول في الجاهلية.

(٥) ديوانه: ١٢٩.

وقال^(١) أيضاً:

كَمَيْتاً تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صَرَخَتْ بَعْدَ إِزَابِهَا
وقال^(٢) الأعشى ما يشبه قول النابغة:

وصهباء صِرَفٍ كَلَوْنِ الْفُصُوصِ سَرِيعٍ إِلَى الشُّرْبِ إِنْسَالُهَا^(٣)
تُرِيكَ الْقَذَى وَهِيَ مِنْ دُونِهِ إِذَا مَا تُصَفِّقُ جَرِيالُهَا^(٤)

كما وافق^(٥) الجعدي الأعشى مرةً أخرى حيث قال:
وَشُمُولٍ قَهْوَةٍ بَاكَرَتْهَا فِي التَّبَاذِيرِ مِنَ الصَّبْحِ الْأَوَّلِ
بَاشَرْتَهُ جَوْنَةً مَرْشُومَةً أَوْ جَدِيدٌ حَدَثُ الْقَارِ جَحْلُ

قال^(٦) الأعشى:

وَشُمُولٍ تَحْسِبُ الْعَيْنُ إِذَا صَفَّقَتْ وَرَدَّتْهَا نَوَزَ الدُّبُخِ
بِمَلْ ذِكِي الْمِسْكِ ذَالِكِ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قَبِلَ تَفْرِخِ
مِنْ زِقَاقِ التَّجَرِّ فِي بَاطِنَةٍ جَوْنَةٍ حَارِيَةٍ ذَاتَ رَوْحِ

وبما قاله^(٧) الأعشى في صفة الخمرة ومجلسها وشربها:

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرَتْ حَدَّهَا
بِفَتْيَانٍ صَدِيقٍ وَالنَّوَاقِيسِ تُضْرَبُ

(١) ديوانه: ٧١.

(٢) ديوانه: ١٦٣.

(٣) الفصوص: جمع الفص وهو حذقة العين. صهباء: خمرة معتقة.

(٤) القذى: ما يسقط في الشراب أو العين من غبارة وغيره. الجريال: صبغ أحمر.

(٥) ديوان النابغة: ٨٦.

(٦) ديوانه: ٢٤١.

(٧) ديوانه: ٢٠٣.

سَلَفٍ كَانَ الزَّعْفَرَانُ وَعَنْدَمًا
يُصَفُّقُ فِي نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقَطَّبُ^(١)

وهكذا، سار الشعراء، فيما بعد، على طريق الجعدي والأعشى، فتناولوا الخمرة ووصفوها وصفاً حسيّاً، كما تناولوها من حيث أثرها في النفس وفي الأعضاء. ولينظر في ذلك الأخطل من شعراء العصر الأموي، وأبو نواس من بعده، الذي طوّر القصيدة الخمرية وجعلها فنّاً مستقلاً، وجعلها إطاراً لبثّ مذهبٍ فكري وأدبي وفلسفي، وشتان بين هذا الأخير وبين الجعدي، الذي عبّر عن سروره ولهوه بالبساطة الممكنة دون اللجوء إلى تحميل الألفاظ أكثر مما تحتمل، كما أنه لم يلجأ إلى التعقيد، بل حافظ على العفوية في التعبير.

الزهد:

لم يُعرف هذا الفن في نطاقه الواسع، إلا في العصر العباسي حيث الحياة المعقّدة، وطفيان الدنيا على النفوس الضعيفة. ولكننا نلاحظ، ومنذ الجاهلية أن كثيراً من الشعراء قد نبذوا حياة العبث واللهو في صغرهم، ومنهم من فعل ذلك في سنٍّ متأخرة، أما النابغة فإنه يختلف قليلاً عن ذكرنا، لأنه عاش في الجاهلية ردحاً طويلاً من الزمن، ولم ينفمس أصلاً في متاهات الجهل والفساد، ورفض الأوثان، ولم يعبدها، حتى أكرمه الله بالإسلام، فازدادت فضائله، وتواصلت نزعة الخير التي حملها منذ زمن، ولذلك كان زهده أقرب إلى الخواطر، وتقرير الحقائق الإنسانية، من خلال تجربته الطويلة مع

(١) السلاف: خلاصة الخمرة. العندم: شجر له عروق حمراء يصبح به. الناجود: وعاء الخمرة. تصفيق الخمرة: ترويقها وتصفيقها. قطب الخمرة: مزجها.

الحياة، وكأنه وصل إلى حدٍّ وجد نفسه وقد صارت الحياة تزعجه
قال^(١):

وتسوؤه الأيام حتى ما يرى شيئاً بسرة
كم شامتٍ بي إن هلكت وقائلٍ لله ذره

تحمّل الأبيات نظرة سوداء إلى الحياة، ولكن الشاعر لم يكن
متشائماً أو رافضاً للحياة، فهو رضي العيش، وناضل وجاهد طيلة
حياته ليعيش حياةً كريمة، كما جاهد في سبيل الله، ولا يفسر ما ورد
في الأبيات إلا من باب تقرير واقع النفس الإنسانية وما يطرأ على
الإنسان من تحولٍ في ميوله وأهوائه بحسب تغير قواه الجسدية، فإذا
اضمحلت القوى الجسدية وانهارت، يرغب عند ذلك، كثير من
الناس بالموت. أما الحقيقة الأخرى، فتجلى في أن النفس أمارة
بالسوء، وكل يوم يمرّ على الإنسان قد يأتي عليه بما يضرّه ويسوؤه، مما
يجعل الناظرين إليه في نهايته فريقين: فريق شامت بما حلّ به
ووصلت إليه حاله، والفريق الثاني يدعوله ويشكر فعله وهذه هي
الحقيقة الثالثة التي أراد أن يقررها الشاعر.

وها هو يحذر، في مكان آخر من الدهر، ويتهمه بالخيانة، على
عادة شعراء الجاهلية، فكثيراً ما كانوا يلقون بتبعة ما يصيبهم من
النائب على الدهر، ولو أنني أميل إلى أن رآه هذا بالدهر يحتمل على
معنى آخر، وهو عدم استقرار الأحوال، فمع مرور الأيام، الناس
يتغيرون، والأصدقاء قد يصيرون أعداء والعكس صحيح يقول^(٢):

(١) ديوانه: ١٩١. وراجع ص ٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) ديوانه: ١٠.

ولا تأمنوا الدهر الخؤون فإنه
على كل حال بالورى يتقلب
وانطلاقاً من قوله هذا يصل إلى الحقيقة الأخرى التالية :

وأعلم أن الخير ليس بدائم علينا وأن الشر لا هو يرتب
إذاً، ما أراده الشاعر، ليس الحكم من خلال نظرة سوداوية، إنما
التحذير مما هو آتٍ ليكون الإنسان على بينة من أمره ولا يقع في ما لا
يرغب، أو ينخدع بالدنيا وزينتها.

خصائصه العامة :

بما أن النابغة الجعدي قد عاش بين عصرين، فإنه جمع في شعره
خصائص بيئتين مختلفتين، ولكن انعكاس الفروقات البيئية وأثره في
شعره لم يكن كبيراً، ومهما كانت الحال نستطيع أن نسجل الخصائص
التالية :

- النزعة الإسلامية، ويقودنا ذلك إلى الكلام على مذهبه الأخلاقي
الداعي إلى المكارم، والترفع عن الدنيا، والحث على اكتساب
الرزق، كي لا يقع المرء فريسة للفقر، الذي يؤدي بدوره إلى الذل،
وغير ذلك كثير، مما يبدو عليه أثر القرآن الكريم والدين الحنيف.

- الحكمة، وترتبط بتدينه وأخلاقه وتجربته الطويلة التي اكتسبها
من خلال عمره الطويل. وتدور حكمه، أيضاً، حول العيش
والحياة، والخير والشر، والطبائع البشرية، واختلافها وسلوك الإنسان
وغير ذلك من شؤون عايشها وخبرها.

- الواقعية، إذا قيل إن الشعر الجاهلي ابن بيئته، فإن مصداق ذلك
في شعر الجعدي، ولا يغير كونه عاش أيضاً في صدر الإسلام شيئاً

من هذه المقولة الحقيقية، فهو قريب من بيئته الطبيعية إلى درجة أن قصائده غنية جداً بالصور والمعاني المستمدة من البادية وما فيها من حيوانات كالبقرة الوحشي، الجؤذر، الخيل، الظباء والإبل وما سوى ذلك، فوصفها وصفاً دقيقاً، كما تكلم على البيئة الثقافية فعبر عن الإسلام وفضائله، كما تحدث عن مجالس اللهو والخمرة والنساء وغير ذلك مما يدل على أن في شعره صورة وافية للعصر، وأكثر ما يلفت الانتباه، مهاجاته مع بعض الشعراء مثل: ليل الأخيالية وكعب بن جعيل والأخطل وغيرهم، ما يدل على أنه التزم الإسلام وامتنع عن قول ما يناقض إسلامه، مما أفسح لهم المجال ليتغلبوا عليه.

أسلوبه، تختلف الآراء في الحكم على شعره، فمن رأي قائل بأنه شاعر مفلق إطلاقاً، ومن رأي آخر يقول بأن في شعره الجيد والردى، وهذا هو الأرجح، ولا أرى فيه عيباً يغض من قيمة الشاعر، خصوصاً إذا تذكرنا أنه لم يكن يحب التصنع والتكلف، بل ترك لسجيته أن تتحرك كيفما شاءت وعبر عن أحاسيسه بوضوح وبسهولة جعلت من شعره دون المستوى المطلوب، في بعض الأحيان. وإذا مررنا على بعض الصور البلاغية، كالمقابلات، فلإنها حقاً كانت عفوية وموفقة من حيث التوقيع والأثر الفني في القصيدة، فانظر إلى هذه المقابلات لترى ما فيها من روعة وحسن:

إذا مسَّ الشر لم يكتشب وإن مسَّ الخير لم يعجب^(١)
وكذلك قوله^(٢):

(١) ديوانه: ٣٣.

(٢) ديوانه: ٧٢.

ولسنا نردُّ الروح في جسمٍ مَبِينٍ
وكنا نُلُّ الروحَ من نَبْرًا
غَيْبٌ ولا نَحْيِي كذاك صَنِيعنا
إذا البطل الحامي إلى الموت أهجرا

وقوله^(١)، ولكن في مجال آخر غير المقابلة، وهو من أحسن شعره:
تبدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ
لا النور نورٌ ولا الإظلام إظلامٌ
وفي التشبيهات له الكثير، مما جاء عفو المخاطر، وبغية الإيضاح
فحسب^(٢):

كأن تبسمها مَوْهناً سنا المسك حين تحسُّ النعamy
أما الإكناية، فهو أول من طرق بابها، وسار الشعراء على طريقته
من بعده:

أُكْنِي بغيرِ إسمها وقد علمَ اللهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مَكْتَمٍ^(٣)
واللغة، تبعاً لما ذكرنا آنفاً، هي لغة العصر، وتتفاوت من قصيدة
إلى أخرى، ومن بيت إلى آخر، وبحسب الموضوع والفكرة، ويمكن
القول إن ألفاظه استمدت من البيئة الجاهلية وكذلك من الإسلام،
فمن الأولى كان الغريب والعويص من الكلمات، ومن الإسلام أخذ
الكلمات السهلة، التي لها دلالة أخلاقية.

ومما أخذه عن الأولين من المعاني، موقفهم من الدهر وكذلك

(١) ديوانه: ٢٣٩.

(٢) ديوانه: ٢٣٨.

(٣) ديوانه: ١٥٠. الأغاني: ٢٧/٥.

الكثير من صفات الحمرة وطرائق الغزل وأساليبه، كما استمد بعض
الأمثال وصاغها شعراً كقوله^(١):

وإن امرءاً أهدى إليك قصيدةً
كمنبضع تمرأى إلى أرض خيبر

أخيراً، لما كان الشاعر عاش بين عصرين مختلفان في كل شيء
تقريباً، فلم يكن من السهل التحول بسرعة، فمثل هذا التحول
يقتضي زمناً طويلاً، ولا تظهر نتائج الانقلابات الثقافية والفكرية
والدينية إلا بعد جيل أو جيلين، ولم يظهر ذلك عندنا إلا في أواخر
العصر الأموي.

(١) ديوانه: ٧٥. ويقال أيضاً: لمستبضع التمر إلى خيبر. راجع مجمع الأمثال
للميداني: ١٥٢/٢.

الخاتمة

بحثت، في هذا الكتاب، في حياة النابغة الجعدي وعصره، وتناولته كشاعر صحابي مخضرم عاش بين عصرين، وأعطى من الشعر الكثير، ولكن للأسف لم يصل إلينا كل ديوانه، فبنيت ما توصلتُ إليه من الأحكام المتواضعة على أقوال الرواة والنقاد من جهة، وعلى ما بين أيدينا من شعر النابغة من جهة أخرى. وإنَّ المجال يبقى مفتوحاً، لجهة البحث عن المفقود أو المبعثر من شعره مما يتيح الفرصة مجدداً نحو مزيد من الدرس والتحليل للتعرف على سيرة وشخصية النابغة الجعدي، وإني لأرجو أن يلقي هذا الأمر العناية التي يستحقها.

والحمد لله رب العالمين

مختارات

المتقارب

سما لك هم ولم تطرب
وقالت سليمي أرى رأسه
وذلك من وقعات المنون
أتين على إخوتي سبعة
وسادة رهطي حتى بقي
فليت رسولاً له حاجة
ودسكرة صوت أبوابها
سبقت صياح فرايجهما
برنة ذي عتب شارب
وقهوة صهباء باكرتها
وجرد جوائنح ورذ القسطا

وبت بيت ولم تنصب^(١)
كناصية الفرس الأشهب^(٢)
فغيتي إليك ولا تعجبي
وعذّن على زبعي الأقرب
ت فرداً كصيصية الأغضب^(٣)
إلى الفلج العود فالأشعب^(٤)
كصوت المواتح بالحواب^(٥)
وصوت نواقيس لم تضرب^(٦)
وصهباء كالمسك لم تقط
بجهمته والديك لم ينم
يوائلن من عتي مطيب^(٧)

(١) تنصب: تنعم.

(٢) الناصية: منبت الشعر في مقدم الرأس. الأشهب: اللون الأبيض فيه سواد.

(٣) الصيصية: القرن. أغضب: مكسور القرن.

(٤) الفلج والأشعب: قرنتان باليامة.

(٥) الدسكرة: عند الأعاجم أماكن اللهو. المواتح: جمع الماتح: المستقي.

الحواب: الواسع من الدلاء.

(٦) النواقيس: الأجراس.

(٧) الجرد: جمع الأجرد وهز من الخيل قصير الشعر دليل كرمه. جوائنح: من

جنح يمضي أسرع.

خَرَجْنَ شَهَاطِيطٌ مِنْ غَارَةٍ بِالْفِ تَكْتُبُ أَوْ يَفْتَبُ^(١)
 كَأَنَّ الْغَبَارَ الَّذِي فَوْقَهُنَّ ضَحِيًّا دَوَاجِنُ مِنْ تَنْضَبُ^(٢)
 تَلَايِيْنُهُنَّ بَلَا مُقَرِّبَ بَطِيءٌ وَلَا جَذَعٌ جَانِبُ^(٣)
 بَعَارِي النَّوَاقِ صَلَّتِ الْجَبِي مِنْ أَجْرَدَ كَالصُّدْعِ الْأَشْعَبِ
 يُقَطِّعُهُنَّ بِتَقَرِّيبِهِ وَيَأْوِي إِلَى حُضْرٍ مُلْهَبِ^(٤)
 وَإِرْخَاءِ سَيْدٍ إِلَى هَضْبَةٍ يُوَائِلُ مِنْ بَرْدٍ مُهْذَبِ^(٥)
 إِذَا سَبَقَتْ الْخَيْلَ وَنَطَّ النَّهَارُ يُضْرَبَنَّ ضَرْبًا وَلَمْ يَضْرَبْ لَغَبْنٌ وَأَصْبَحَ لَمْ يَلْغَبِ^(٦)
 غَدَا مَرِحًا طَرِبًا قَلْبُهُ يَسْتَنُّ كَالْتَّيْسِ فِي الْحَلَبِ
 فَلَيْقُ النِّسَاءِ حَيْطُ الْمَرْقُفَيْنِ رَشْمُ السُّنَابِكِ لَمْ تَقْلَبْ
 مُدِلُّ عَلَى سُلْطَاتِ النِّسَاءِ نِيَامُ الْأَبَاجِلِ لَمْ تُضْرَبْ^(٧)
 صَحِيحُ الْفُصُوصِ أَمِينُ الشُّظَا رِقَابٌ وَعُولٌ لَدَى مَشْرَبِ
 كَأَنَّ ثَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ خُضِبَنَّ وَإِنْ كَانَ لَمْ يُخْضَبْ
 كَأَنَّ حَوَافِرَهُ مُذْبِرًا

(١) شَهَاطِيطُ الْخَيْلِ: الْخَيْلُ الْمُتَفَرِّقَةُ. الْمَقْبُ مِنْ الْخَيْلِ: مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ.

(٢) التَنْضَبُ: شَجَرٌ كَثِيرُ الدِّخَانِ.

(٣) جَانِبُ: قَصِيرٌ. الْجَذَعُ فِي الْخَيْلِ: لَهُ بَيْتَانِ مِنَ الْعَمْرِ.

(٤) التَقَرِّيبُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعُدُوِّ. وَالْحُضْرُ: ضَرْبٌ مِنَ عُدُوِّ الدَّوَابِّ. مُلْهَبٌ: شَدِيدٌ.

(٥) إِرْخَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ سَبْرِ الذَّنَابِ. وَالسُّيْدُ: الذَّنْبُ. يُوَائِلُ: يَلْجَأُ.

(٦) يَلْغَبُ: يَتَعَبُ.

(٧) الْفُصُوصُ مِنَ الْفَرَسِ: مَفَاصِلُ رَكْبَتَيْهِ. الشُّظَى: عُظِيمٌ مُلْتَصِقٌ بِالذَّرَاعِ. الْأَبَاجِلُ: جَمْعُ الْأَبْجَلِ: عَرَقٌ غَلِظٌ مِنَ الْفَرَسِ أَوْ الْبَعِيرِ.

جِجَارَةٌ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كَيْسِنْ طَلَاءٍ مِنَ الطُّحْلَبِ
 وَأَوْظَفَةٌ أَيْدٍ جَذْمَا كَأَوْظَفَةِ الْفَالِجِ الْمَصْعَبِ
 وَلَوْجُ ذِرَاعَيْنِ فِي بَرْكَةٍ إِلَى جَوْجُوزِهِلِ الْمَنْكَبِ
 أَمْرٌ وَنَحْيٌ مِنْ صُلْبِهِ كَتَنَجِيَةِ الْقَنْبِ الْمُجْلَبِ
 عَلَيَّ أَنَّ حَارِكُهُ مُشْرِفٌ وَظَهَرَ الْقِطَاةُ وَلَمْ يَجْدَبِ
 كَأَنَّ مَقَطَّ شِرَاسِيْفِهِ إِلَى طَرْفِ الْقَنْبِ فَالْمَنْقَبِ
 لَطَمْتَنُ بَنُورَسٍ شَدِيدِ الصِّفَا فِي مَنْ خَشِبَ الْجَوْزُ لَمْ يُثْقَبِ
 وَيَضْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطُّوَيِّ صَهْبِلًا يُبَيِّنُ لِلْمُغْرَبِ
 وَمَنْ دُونَ ذَلِكَ هَوِيٌّ لَهُ هَوِيُّ الْقُطَامِيِّ لِلْأَرْبِ
 كَأَنَّ تَوَالِيَهَا بِالضَّحَى نَوَاعِمَ جَعْلٍ مِنَ الْأَثَابِ

الطويل

قال :

خَلِيلِيْ غُوجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا وَلَوْ مَا عَلَى أَحَدَتِ الدَّهْرِ أَوْ ذَرَا
 وَلَا تَجْزَعَا إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ فَخِفَا لِرَوْعَاتِ الْحَوَادِثِ أَوْ قِرَا
 وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تَطْلِقَانِ دَفْعُهُ فَلَا تَجْزَعَا بِمَا قَضَى اللَّهُ وَاصْبِرَا
 أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَأَدْبَرَا
 تَبِيجُ الْبُكَاءِ وَالنَّدَامَةُ ثُمَّ لَا تُغَيِّرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قُدْرَا

-
- (١) الرضراضة: الأرض الصلبة. الطحلب: خضرة تعلو الماء الراكد.
 (٢) أوظفة: جمع وظيف وهو مستلق الذراع والساق من الخيل والإبل. أيد: قوي. فالج: جمل ضخيم. المصعب: الفحل لم يرض.
 (٣) جوجوز: صدر.
 (٤) الحارك: فروع الكتفين. القطة: مقعد الردف.
 (٥) الجعل: صغار النخل. الأثاب: ضرب من الشجر.

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى
 ويتلو كتاباً كالجرّة نيراً
 خليلي قد لاقيتُ ما لم تلاقيا
 وسُبرتُ في الأحياء ما لم تُسيرا
 تذكّرتُ والذكرى تهيجُ لذي الهوى
 ومن حاجة المحزون أن يتذكّرا
 نداماي عند المنذر بن محرق^(١)
 أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مُقْفِراً^(٢)
 كهولاً وشباناً كأن وجوههم
 دنائيرُ مما شيف في أرض قيصرا
 وما زلتُ أسمى بين باب ودار
 بنجران حتى جفت أن اتصّرا
 لدى ملك من آل جفنة خالهُ
 وجدّاه من آل امرئ القيس أزهرا
 يُديرُ علينا كأسه وشواءه مناصفه والحضرمي المحبرا
 خنيفاً عراقياً ورّيطاً شامياً
 ومُعْتَصِراً من مسك دارين أذفرا^(٣)
 ونبي عليها نسيجُ ربح مريضه
 قطعت بخرج جوج مُساندة القرا

(١) المنذر بن محرق: هو المنذر بن ماء السماء، وكان قد قُتل في حربٍ مع
 الغساسنة حوالي سنة ٥٥٦ رومية.

(٢) دارين: موضع بالبحرين.

خنوب مروح تُعجل الوُزق بعدما
 تُعرس تشكو آهة وتذمرا^(١)
 وتعبر يعفور الصريم كناسة
 وتخرجه طورا وإن كان مظهرها^(٢)
 كمُرقدة فرد من الوحش حرة
 أنامت بذئ الذئبين بالصيف جؤذرا^(٣)
 فامسى عليه أطلس اللون شاجبا
 شحيحا يُسميه النياطي نيرا^(٤)
 طويل القرا عاري الأشاجع ماردا
 كشق العصا فوه إذا ما تضورا
 فبات يذكيه بغير حديدة
 أخوقنص يمي ويصبح مقفرا^(٥)
 فلاقث بيانا عند أول مربرض
 إهابا ومعبوطا من الجؤب انمرا^(٦)
 ووجها كبرقوع الفتاة ملَمعا
 وزؤقين لما يعدوا أن تقمرا^(٧)
 فلما سفاها البأس وارتد هُما
 إليها ولم يترك لها متأخرا

(١) خنوب: دابة ترمي يديها إلى وحشيها.

(٢) اليعفور: البقر الوحشي. الكناس: بيت البقر الوحشي.

(٣) الجؤذر: البقرة الوحشية.

(٤) أطلس: أملس أو لا شعر له.

(٥) يذكيه: يذبحه. أقفر: جاع.

(٦) المييط: اللحم.

(٧) تقمرها: صاها.

أتبع لها فرداً خلا بين عالج
 وبين جبال الرمل في الصيف أشهرا
 كسا دفع رجليها صفيحة وجهه
 إذا انجردت نبت الخزامى المنورا
 مروج كسا القريان ظاهر لونها
 مراراً من القراص أحوى وأصفرا
 فباهى كفحل الحوش ينفض رأسه
 كما ينفض الوضع الفنيق المجفرا^(١)
 وولت به روح خفاف كأنها
 خذاريق ترجي ساطع اللون أغبرا
 كاصداق هنديين صهب لجاهم
 يبيعون في دارين مسكاً وعنبراً^(٢)
 فباتت ثلاثاً بين يوم وليلة
 وكان النكير أن تضيف وتجاراً
 وباتت كأن كشعها طي زينة
 إلى راجع من ظاهر الرمل أعفرا^(٣)
 تلالاً كالشعري العبور توقدت
 وكان عاء دونهما فتحسراً^(٤)

(١) الحوش: فحول من الجن. ينفض: يترك.

(٢) دارين: موضع البحرين.

(٣) راجع الوزن: ثقل.

(٤) الشعري: من النجوم.

يَمُورُ النَّدَى فِي مِذْرَبِهَا كَأَنَّهُ
 فَرِيدٌ هَوَى مِنْ سِلْكِهِ فَتَحَدَّرَا^(١)
 وَعَادِيَةٌ سَوْمُ الْجَرَادِ شَهِدَتْهَا
 فَكُفَلَتْهَا سَيِّدَا أَزَلْ مُصَدَّرَا^(٢)
 أَشَقُّ قَسَامِيًّا رُبَاعِيٌّ جَانِبُ
 وَقَارِخُ جَنْبِ سُلٍّ أَقْرَحُ أَشْقَرَا^(٣)

شَدِيدُ قَلَاتِ الْمِرْقَقَيْنِ كَأَنَّمَا بِهِ نَفْسٌ أَوْ قَدْ أَرَادَ لِيَزْفُرَا
 يُمُرُ كَمَرِيخِ الْمَغَالِي انْتَحَتْ بِهِ
 شِمَالُ عُبَادِيٍّ عَلَى الرِّيحِ أَعْسَرَا
 وَبَقِيَ وَجِيفُ الْأَرَبِ السَّوْدِ لَحْمُهُ
 كَمَا بُنِيَ التَّابُوتُ أَخْزَمَ مُجْفَرَا
 فَلَمَّا أَتَى لَا يَنْقُصُ الْقَوْدُ لَحْمُهُ
 نَقَضْتُ الْمَدِيدَ وَالشَّعِيرَ لِيَضْمُرَا
 وَكَانَ أَمَامَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ طَلِيعَةٌ
 فَأَرَى يَفَاعَاً مِنْ بَعِيدٍ فَبَشَّرَا
 وَنَهْنَهَتْهُ حَتَّى لَبِسَتْ مُفَاضَةً
 مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ رِيحٌ وَأَمِطَرَا^(٤)
 وَجُمِعَتْ بَزَيٌّ فَوْقَهُ وَدَفَعَتْهُ
 وَنَانَاتُ مِنْهُ خَشِيَةٌ أَنْ يُكْرَرَا

(١) المدريان : القرنان . الفريد : العقد .

(٢) عادية : حامللة . سوم الجراد : مضيه .

(٣) الأشق : الطويل من الخيل والرجال .

(٤) نهنته : منعته .

وعرَفْتُهُ فِي شِدَّةِ الْجَزْيِ بِاسْمِهِ
 وَاشْلَبْتُهُ حَتَّى أَرَاخَ وَابْصُرَا^(١)
 فَظَلَّ يُجَارِيهِمْ كَأَنَّهُ مُوَيَّةُ
 مُوَيِّ قُطَامِيٍّ مِنَ الطَّيْرِ أَمْعَرَا^(٢)
 أَرْجُ بِذَلِكَ الرُّمَحِ لَحْيَتَهُ سَابِقاً
 نَزَائِعَ مَا ضَمَّ الْخَمِيسُ وَضَمَّرَا
 لَهُ عُتُقٌ فِي كَاهِلٍ غَيْرِ جَانِبٍ
 وَلَجَّ بِلَحْيَتِهِ وَنُحْيَ مُذْبِرَا
 وَبَطْنٌ كَظْهَرِ الثَّرَسِ لَوْ شُلَّ أَرْبَعاً
 لِأَصْبَحَ صَفْراً بَطْنُهُ مَا تَخَرَّخَرَا^(٣)
 فَكَفَّ أُولَى شَقَرٍ جِيَاداً ضَوَامِراً
 فَزَحَزَحَهَا عَنْ مِثْلِهَا أَنْ تَصْدُرَا
 فَأَرْسِلَ فِي دُفْمٍ كَأَنَّهُ حَنِينُهَا
 فَحَيَّعَ الْأَفَاعِي أَعْجَلَتْ أَنْ تَجْحِرَا
 لَهَا حَجَلٌ قُرْعُ الرُّؤُوسِ تَحْلُبْتُ
 عَلَى هَامَةٍ بِالصَّبْفِ حَتَّى تَمُورَا
 إِذَا هِيَ سَبَقَتْ دَافَعَتْ ثَفِنَاتِهَا
 إِلَى سُرَرٍ بُجَرٍ مَزَاداً مُقْبِراً
 وَتَغْفِسُ فِي الْمَاءِ الَّذِي بَاتَ آجِناً
 إِذَا أَوْرَدَ الرَّاعِي نَضِيحاً مُجْبِراً^(٤)

(١) اشلبته : اغرته .

(٢) شعر أمعر : متناقط .

(٣) شل : طرد .

(٤) الماء الأجن : المتغير .

حناجر كالاقماع فح حنيتها

كما نفخ الزمار في الصبح زغرا^(١)
ومهما يقل فينا العدو فإثمهم
يقولون معروفاً وأجر منكرا
فما جذت من فرقة عربية
كفيلاً دنا منا أعز وأنصرا
وأكثر منا ناكحاً لغريبة
وأصيت بساة أو أرادت تخيرا
وأسرع منا إن أردنا انصرافة
وأكثر منا دارعين وحرا^(٢)
وأجدر أن لا يتركوا عانياً لهم
فيعبر حولاً في الحديد مكفرا^(٣)
وأجدر أن لا يتركوا من كرامة
نوباً وإن كان الثوبة أغصرا
وقد آتست منا قضاة كالنا

فأضحوا ببصرى يعصرون الصنوبرا
وكنسدة كانت بالعقيق مقيمة

وهذ فكلأ قد طحرناه مطحرا^(٤)
كنانة بين الصخر والبحر دارهم
فأحجرها إن لم تجذ متأخرا
ونحن ضربنا بالصفا آل دارم
وحسان وابن الجون ضرباً منكرا
وعلقمة الجعفي أدرك ركضنا
بذي النخل إذ صام النهار وهجرا
ضربنا بطون الخيل حتى تناولت
عميدي بني شيبان غمرواً ومندرا

(١) الزغر: قصب الزمار.

(٢) دارع: وضع الدرع.

(٣) العاني: الأسير.

(٤) طحر: فهر.

أرحنا معداً من شراحيل بعدما
أراها مع الصبح الكواكب مظهرها
تمرّن فيه المضرجية بعدما
زوّين نجيعاً من دم الجوف أحمر^(١)
ومن أسد أغوي كهولاً كثيرة
ينهي غراب يوم ما عوّج الذرا
وتنكر يوم الرّوع ألوان خيلنا
من الطعن حتى تحجب الجون أشقرا
ونحن أناس لا نعوّد خيلنا
إذا ما التقينا أن نحمّد وتنفرا
وما كان معروفاً لنا أن نردّها
صاحاً ولا مستنكراً أن نعفرها
بلغنا السبا مجداً وجوداً وسوداً
وأنا لنرجو فوق ذلك مظهرها
وكل معد قد أحلت سيفونا
جوانب بحم ذي غوارب أخضرا
لعمري لقد أنذرت أذاً أناتها
لتنظر في أحلامها وتفكرا
وأعرضت عنها جعبة وتركها
لأبلغ عذراً عند ربي فأعذرا
وما قلت حتى نال شتم عشيرتي
نفيل بن عمرو والوحيد جعفرنا

(١) النجيع: الدم.

وَحَيُّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا حَيُّ مِثْلُهُمْ
 إِذَا بَلَغَ الْأَمْرَ الْعِمَاسَ الْمَذْمُورَا
 وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْثَرَا^(١)
 وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
 فَنَفِي الْجِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَمُورٍ كَثِيرَةٍ
 وَفِي الْجَهْلِ أَحْبَابٌ إِذَا مَا تَعَلَّرَا
 كَذَلِكَ لِعَمْرِي الدَّهْرُ يَوْمَانِ فَاعْرِفُوا
 شُرُورَ وَخَيْرَ لَا بَلَّ الشَّرُّ أَكْثَرَا
 إِذَا افْتَخَرَ الْأَزْدِيُّ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ
 تَأَخَّرَ فَلَنْ يَجْعَلَ لَكَ اللَّهُ مَفْخَرَا
 فَإِنْ تَرِدِ الْعُلِيَا فَلَسْتَ بِأَهْلِيهَا
 وَإِنْ تَبَسُّطِ الْكَفَّيْنِ بِالْمَجْدِ تُقْصَرَا
 إِذَا أَدْلَجَ الْأَزْدِيُّ أَدْلَجَ سَارِقًا
 فَاصْبَحْ غَحُومًا بِلُؤْمٍ مَعَزَّرَا

وقال:

(التقارب)
 لَيْسَتْ أَنَسًا فَأَقْنِيَتْهُمْ وَأَفْنِيَتْ أَنَسًا أَنَسًا^(١)
 ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ أَفْنِيَتْهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْنَسَا^(٢)

(١) البوادر: ما يُقال عند الغضب.

(٢) لَيْسَتْ أَنَسًا: ثَلَيْتْ بِهِمْ دَهْرًا. أَفْنِيَتْهُمْ: عُمِرَتْ بَعْدَهُمْ.

(٣) مُسْنَسَا: طَلَبُ الْمَوْضِ.

وَعِشْتُ بِعَيْشِينَ إِنَّ الْمَنُونَ
فَحَبِيناً أَصَادِفُ غِرَاتِهَا
نَشَأْتُ غُلَاماً أَقَاسِي الْحُرُوبِ
وَحَمِرَ مِنَ الطُّعْنِ غَلَبَ الرُّقَا
شَهِدْتُهُمْ لَا أَزْجِي الْحَيَا
وَشُعْبَ يُطَاقِنَ بِالذَّارِعِينَ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجُرْسِ النَّبُوحِ
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهَهَا أَغْرُ
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السُّلَيْطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاساً^(١)
بِأَنَسَةٍ غَيْرِ أَنَسٍ الْقَرَا
فِي تَخْلِطٍ بِالْأَنَسِ مِنْهَا شِمَاساً^(٢)
إِذَا مَا الضُّجَيْعُ ثَنَى جِيذَهَا
يَعِيسُ نَعَطُفَ أَعْنَاقُهَا
سَبَقْتُ إِلَى فَرْطِ نَاهِلٍ
وَحَرْبُ ضُرُوسٍ بِهَا نَاجِسُ
أَمَامَ لُؤَاءِ كَظَلِّ الْعُقَا
تَلَقَى الْمَعَاشِ فِيهَا جِاساً
وَحِيناً أَصَادِفُ مِنْهَا شِمَاساً^(٣)
وَيَلْقَى الْمُقَاسُونَ مِنِّي مِرَاساً
بِ كَالْأَسَدِ يَفْتَرِسُونَ افْتِرَاساً
هُ حَتَّى تَسَاقُوا بِسُمْرِ كِيَاساً
طِبَاقُ الْكِلَابِ يَطَّانُ الْهَرَّاساً^(٤)
وَلَا نُبْصِرُ الْحَيَّ إِلَّا التَّيَاساً
مُلْتَبِساً بِالْفَوَادِ التَّبَاساً
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاساً^(٥)
تَثْنَتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاساً^(٦)
كَمَا عَطَفَ الْمَاسِخِيُّ الْقِيَاساً^(٧)
تَنَابُلَةً يَجْفِرُونَ الرُّسَاساً^(٨)
مَرَرْتُ بِرُجْحِي فَكَانَ اعْتِسَاساً^(٩)
بِ مَنْ يَأْتِيهِ يَلْقَى طَعْناً خِلَاساً

(١) غِرَات: جمع غِرَة: غفلة.

(٢) الهراس: شوك كأنه حاك.

(٣) السليط: الزيت. والنحاس: الدخان المفسد.

(٤) القِرَاف: المخالطة. التماس: عدم مطالعة الرجال.

(٥) لباس: تطلق على المرأة.

(٦) الماسخي: القواس.

(٧) تنابله: جمع تنابل: قصير. الرساس: جمع رس: البثر.

(٨) ضروس: أكول. الناجس: وعلى طويل القرنين. مري الضرع: مسحه.

فأصبح في الناس كالسائري إذ قال موسى له لا إمسا^(١)
قال :

(الرمل)

لمني الدار كأنضاء الخلل
عهدهما من حقب العيش الأول^(٢)
بمغاميد فاعل أسن
فحنانات فأوقي فالجبل^(٣)
فبرعمين فريطات لها
وباعل حريات متقل
فذهب الكور أمي أهله
كل مؤثني شواه ذو رمل^(٤)
دار قومي قبل أن يذركهم
عنت الدهر وعيش ذو جبل^(٥)
وشمول قهوة باكرتها
في التباثر من الصبح الأول^(٦)
باشرتة جونة مرشومة
أو جديد خذت القار حجل
وضع الأسكوب فيه رقعاً
مثل ما يرفع بالكوي الطجل^(٧)
فشرتنا غير شرب واغل
وعنناجيج جياذ نجب
وغللنا غللاً بعد نهل^(٨)
عناجيج جياذ نجب
نجل فياض ومن آل سبل^(٩)
فإذا الصاهل منهم سهل

(١) يُقال: لا إمسا لا إمسا بمعنى: لا خير في الجري.

(٢) أنضاء: جمع نضو: بالي. خلل: جمع خلة.

(٣) أسن: جبل في ديار بني جمعة. ومثله مغاميد وحنانات وأوق والجبل.

(٤) الرمل: خطوط سود على ظهر الغزال. الشوى: الأطراف.

(٥) عنت الدهر: مشقته.

(٦) الشمول: الحمرة.

(٧) الأسكوب: الصانع.

(٨) نهل: الشرب الأول. والغلل: الشرب الثاني.

(٩) العناجيج: جياذ الخيل.

جَاوَبَتْهُ حُصْنٌ تَمَسْكَةُ أَرْنَاتُ لَمْ يَلَوْنَهَا الْمَمَلُ^(١)
 مِثْلَ عَزْفِ الْجَنِّ فِي صَلَافَةٍ لَيْسَ فِي الْأَصْوَاتِ مِنْهُنَّ صَحْلُ
 فَجَرَى مِنْ يَنْخَرِيهِ زَبْدُ مِثْلُ مَا أُنْمِرَ حِمَاضُ الْجَبَلِ^(٢)
 فَعَرَفْنَا هِزَّةً تَأْخُذُهُ فَقَرْنَاهُ بِرَضْرَاضٍ رَقْلِ^(٣)
 أَبَدَ الْكَاهِلِ جِلْدَ بَازِلِ أَخْلَفَ الْبَازِلَ عَاماً أَوْ بَزَلِ^(٤)
 فَظَنْنَا أَنَّهُ غَالِبُهُ فَزَجَرْنَاهُ بِيَهْيَاهُ وَقَمَلِ^(٥)
 رُفِعَ الشَّوْطُ وَلَمْ يُضْرَبْ بِهِ فَأَرْنُ الْوَقْعُ مِنْهُ وَاحْتَقَلِ
 كَلْباً مِنْ جِئْنٍ مَا قَدْ مَنُوهُ وَأَفَانَيْنِ فَوَادٍ تُحْتَمَلِ
 فَاسْتَوَتْ لَهُزْمَتَا خَدَيْهِمَا وَجَرَى الشِّفُّ سَوَاءً فَاعْتَدَلِ^(٦)
 فَتَأَيَّا بِطَرِيرٍ مَرَهَبِ جُفْرَةَ الْمُحْزَمِ مِنْهُ فَمَلِ^(٧)
 عَسَلَانَ الذَّنْبِ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَتَنَلِ^(٨)
 خَارِطُ أَخَقَبٍ فَلَوْ ضَامِرُ أَبْلَقَ الْحَقَوَيْنِ مَشْطُوبُ الْكَفَلِ^(٩)
 فَأَذَلَّ الْعَبِيرُ حَتَّى خَلَّتْهُ قَفَصَ الْأَمْرَانِ يَعْدُو فِي شَكَلِ^(١٠)

(١) أرنات: نشيطات.

(٢) الحِمَاض: بقلة بربرة.

(٣) رَقْل: سايغ الذنب. رضراض: كثير اللحم.

(٤) البازل: البعير إذا ظهر له نابان. والكاهل: العاتق.

(٥) يهياه وهل: لزجر الإبل.

(٦) الهمزتان: عظمتان ناتئتان في اللحين تحت الأذنين. الشف: الفضل.

(٧) تأيا: تعمد أيته أي شخصه. جفرة الفرس: وسطه. المحزم: الصدر.

(٨) عسلان الذنب: عدوه مسرعاً. التقريب: ضرب من العدو.

(٩) خارط: لا يستقر في بطنه علف. مشطوب: قليل اللحم. الأخقب: الحسار.

الوحشي في بطنه بياض.

(١٠) قفص الظلي: شد قوائمه وجمعها. الأمران: جمع مرن: عصب باطن المعصدين.

قال صبحي إذ رَأَوْهُ مُقْبِلًا ما تراءُ شأنهُ قلت أدل
 ليت قيساً كلُّها قد قطعت مُسحِلاناً فحصيداً قُتِلَ^(١)
 فالأشافي فاعل حابر فلبى الخَرَّ فاطراف الرَّجُلِ^(٢)
 جاعلين الشامَ حمًا لهم ولئن هموا لنعم المُتَّقِلِ^(٣)
 موته أجرٌ ومحياءُ غنى واليه عن أذاة مُعْتَزِلِ
 سألتني جارتي عن أُمِّي وإذا ما عَيَّ ذو اللَّبِّ سأل
 سألتني عن أناسٍ هلكوا شربَ الدهرُ عليهم وأكل
 بَلغوا المُلْكَ فلمَّا بَلغوا بِخَسارٍ وانتهى ذاك الأجلِ
 وضع الدهرُ عليهم بركة فأبيدوا لم يغادر غيرَ قُلِ^(٤)
 فأراني طرباً في إثرهم طَرَبَ الوالِيةِ أو كالمُخْتَبِلِ
 أنشدُ الناسَ ولا أنشدُهم إنما ينشدُ من كان أضل

ليت شمري إذ مضى ما قد مضى وتجلَّ الأمرُ لله الأجلُ

ما يُظَنَّنَ بناسٍ قتلوا أهل صِفَيْنَ وأصحابَ الجَمَلِ
 وابنَ عَفَّانَ حنيفاً مُسلماً ولحومَ البُذْنِ لما تُنْتَقَلِ^(٥)
 أينامونَ إذا ما ظلموا أم يبيتون بخوفٍ ووَجَلِ

(١) مُسحِلان: وادٍ من أدوية أود. وحصيد وتيل: موضعان آخران.
 (٢) الأشافي: وادٍ في ديار قيس. حابر: موضع على الفرات. الرَّجُل: جمع رجلة.
 (٣) الحَم: القصد.
 (٤) قُل القوم: منهزمهم.
 (٥) ابن عَفَّان: الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عَفَّان رضي الله عنه. البُذْن: جمع البُدنة: الناقة.

ولهم ميبا إذا تُبصِرُهم بَيَّنْتُ رِيَّةً مِنْ كَانَ سَأَلَ
فتمطى زَغْرِي وارم مِنْ رِيْبِجٍ كُلَّمَا خَفْتُ مَطَّلَ^(١)
منع الغدَرُ فلم أهُمُّ به وَأَخَوِ الْغَدِرِ إِذَا هُمْ فَعَلَ
خُسِيَّةُ اللَّهِ وَأَنْيَ رَجُلُ إِنَّمَا ذِكْرِي كَنَارٍ بِقَبْلِ
يتواصُونَ بقتلي بينهم مُقْبِلِي نَحْوِي أَطْرَافَ الْأَسْلِ^(٢)
إِنْ تَرَيْ هُمِّي أَمْسَى شَاغِلِي وَإِذَا مَا نَوَجِيْهِ أَلْهُمُ شَغْلُ^(٣)
قال:

(البسط)

إِنَّمَا تَرَيْ ظُلَّلَ الْآيَامِ قَدْ حَسَرَتْ
عَنِّي وَشَمَرَتْ ذُبُلًا كَانَ ذُبُلًا^(١)
وعممتني بقايا الدهرِ مِنْ قُطْنٍ
فقد أنضجُ ذَا فِرْقَيْنِ مِيَالًا^(٢)
فقد تروغُ الغواني طلعتي شَفَا
ينصصنُ أجسادَ أَدَمٍ تَرْتَعِي ضَالًا^(٣)
فِي غِرَّةِ الدَّهْرِ إِذْ نُعْمَانُ ذُو نَبْعٍ
وَإِذَا تَرَى النَّاسَ فِي الْأَهْوَاءِ هُمَالًا^(٤)

(١) الزغري: النبات حين يطول.

(٢) الأسل: القنا.

(٣) تناجى القوم: تآروا.

(٤) حسر: كشف. الظلل: جمع الظلة: السحابة تظل.

(٥) عممتني من قطن: علا رأسه الشيب. نضج: ارتفع.

(٦) الغواني: جمع الغانية: الفتاة غنيت بجمالها. الشعف: شدة الحب. النص:

السبر الشديد. الأدمة في الإبل: البياض الشديد. الضال: السدر البري.

(٧) غِرَّةُ الدهر: غفلته. الغاز: الغافل. هُمَالٌ وَهَمَلٌ: أي ترعى بلا راعٍ.

حتى أتى أحمد الفرقان يقرؤه
 فينا وكنا بغيب الأمر جهلاً
 فالحمد لله إذ لم يأتني أجلي
 حتى لبست من الإسلام سربالا
 يا بن الحيا إني لولا الإله وما
 قال الرسول لقد أنسيك الخالا^(١)
 لقد وسمتك وسماً لا يغيبه
 ثوباك يبرق في الأعناق أحوالا
 أن تهمم فينا الناقصات وقد
 كنا نقدم للظلام أنكالا^(٢)
 فإن صخرتنا أعيت أباك ولا
 يألوها ما استطاع الدهر إخبالا
 ردت معاوله خثماً مضللةً
 وصادفت أخضر الجالين صلالا
 فاذكر مساعي أقوام فخرت بهم
 ولا تدعهم من الأساء أغفالا
 فقل هم رحلوا يوماً إلى ملك
 وقطعوا عن عناة الشعب أغلالا^(٣)
 كما فعلنا بحسان الرئيس وبابن الجون
 إذ لا يريد الناس إقبالا^(٤)

(١) ابن الحيا: سوار بن أوفى القشيري.

(٢) الأنكال: القيود. والواحد نكل.

(٣) عناة: جمع عان وهو الأسبر.

(٤) حسان هو حسان بن عامر بن الجون. والجون الكلبي ملك هجر.

إِذْ أَصْعَدْتُ عَامِرًا شَيْءَ يَحْبِبُهُمْ
 حَتَّى يَرَوْا دُونَهُمْ هَضْبًا وَأَنْوَالًا
 حَتَّى عَظَفْنَاهُمْ عَطَفَ الضُّرُوسِ وَهُمْ
 يَلْقَوْنَ مِمَّا تَخَافُ النَّفْسُ بَلْبَالًا^(١)
 أَوْ قُلْ هُمْ قَاتِلُوا شُهَبَاءَ مُضْلَعَةً
 قَدْ قَذَفْتُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ أَمْوَالًا
 مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَنْطَقْتُ حَيَّ الْحَرِيشِ وَحَيًّا مِنْ عِبَادَةٍ لَمْ تُنْعَمْهُمْ بِهَا^(٢)
 وَمِثْلَهُمْ مِنْ بَنِي عَبَسَ تَدْفُهُمْ
 دَقَّ الرَّحَى الْحَبُّ إِدْبَارًا وَإِقْبَالًا
 شُهَبَاءَ فِلَقُ شَمُوسٍ نَشْرُهَا ذَفِيرُ
 تَلَبَّسْتُ مِنْ ثِيَابِ الْكُرَى أَجْلَالًا^(٣)
 ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ شَمُوسُ الرِّيحِ سَاكِنَةً
 تُزْجِي تَرْبَاعًا ضِعَافَ السَّوْءِ أَطْفَالًا
 حَتَّى لَحَقْنَاهُمْ تُعَدِّي فَوَارِسَنَا
 كَأَنَّنَا زَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الْآلَا^(٤)
 فَلَمْ نَوْقِفْ مُثِيلِينَ الرِّمَاحِ وَلَمْ
 نُوْجِدْ عَوَاوِيرَ يَوْمِ الرُّوعِ عُزَالًا^(٥)
 حَتَّى خَرَجْنَا بِنَا مِنْ جُوفِ كَوَكِبِهِمْ
 حُمْرًا مِنَ الطُّعْنِ أَعْنَاقًا وَآكْفَالًا

(١) بلبال: اضطراب.

(٢) الحريش: قبيلة من بني عامر.

(٣) الشهباء: بياض مع سواد. فرس شمس: عنيد. الذفر: شدة الرائحة.

(٤) الآل: السراب.

(٥) عزال: لا سلاح معهم. عواوير: ضعفاء.

ثُمَّ نَزَلْنَا وَكَثَرْنَا الرِّمَاحَ وَجَرَدْنَا
صَفِيحاً كَسَنَهُ الرُّومُ دَجَالاً^(١)
فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ نَغَشَاهَا وَنَرَكُبُهَا
ثُمَّتْ نَبْدُو كِرَامَ الصَّبْرِ أَبْطَالَا
حَتَّى غَلِبْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ قَدْ عَلِمُوا
حَلَّتْ سَلِيلًا عَذَابَهُمْ وَجَمَالَا
فَإِنْ يَكُنْ حَاجِبٌ ثَمَّنْ فَخَرَتْ بِهِ
فَلَمْ يَكُنْ حَاجِبٌ عَمَّا وَلَا خَالَا^(٢)
فَإِنْ يَكُنْ قَدَمٌ بِالشَّامِ يَنْشُدُهَا
فَإِنَّ بِالشَّامِ أَقْدَاماً وَأَوْصَالَا
مَنْ الْجُنُودِ وَمَنْ لَا تَعُدُّ فَلَا
تَفْخَرْ بِمَا كَانَ فِيهِ النَّاسُ أَمْثَالَا
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمِي زَحْرَحَانٍ وَقَدْ
ظَنَنْتَ هَوَازِنُ أَنَّ الْعَزَّ قَدْ زَالَا^(٣)
وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ مَا جَدْتُمْ نَفْراً
حَامُوا عَلَى عُقْدِ الْأَحْسَابِ أَزْوَالَا
عِنْدَ النَّجَاشِيِّ إِذْ تَعْطُونَ أَيْدِيَكُمْ
مَقْرَنِينَ وَلَا تَرْجُونَ إِرْسَالَا^(٤)

(١) الصفيح: السيف العريض. الدجال: ماء الذهب.

(٢) وحاجب: هو ابن زرارة بن عبد الله بن دارم النميمي.

(٣) زحرحان: جبل قريب من عكاظ. وكان فيه للعرب يومان. راجع الأغاني الجزء (٥).

(٤) النجاشي: ملك الحبشة. تعطون أيديكم: كناية عن الذل مقرنين: مشدودين بالخيال.

إِذْ تَسْتَحِبُّونَ عِنْدَ الْخِذْلِ أَنْ لَكُمْ
مِنْ آلِ جَمْعَةٍ أَعْمَاءُ وَأَخْوَالًا

لَوْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُودَكُمْ
وَتَعْمَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللَّهِ سِرْبَالًا^(١)

إِذَنْ تَرِبَلْتُمْ فِيهِ لِنَجْيِكُمْ
مَّا يَقُولُ ابْنُ ذِي الْجُدَيْنِ إِذْ قَالَ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِي مِنْ لَبَنِ
شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدَ أَبْوَالًا^(٢)

قال :

(الشرح)

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ	مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا
الْمَوْلُجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَفِي اللَّيْلِ نَهَارًا يُفْرَجُ الظُّلُمَاتُ ^(٣)	
الْخَافِضُ الرَّافِعِ السَّمَاءَ عَلَى الدَّ	أَرْضٍ وَلَمْ يَبْنِ تَحْتَهَا دَعْمًا
الْخَالِقِ الْبَارِيءِ الْمُصَوِّرِ فِي الدَّ	أَرْحَامٍ مَاءً حَتَّى يَصِيرَ دَمًا
مِنْ نُطْفَةٍ قَدْهَا مُقَدَّرُهَا	يَخْلُقُ مِنْهَا الْإِبْرَارَ وَالنِّسَاءَ ^(٤)
ثُمَّ عِظَامًا أَقَامَهَا عَصَبٌ	ثُمَّ لَحْمًا كَسَاهُ فَالْتَأَمَا
ثُمَّ كَسَا الرِّيشَ وَالْعِقَاقِثَ	أَبْشَارًا وَجِلْدًا تَحَالَهُ أَذْمًا ^(٥)

(١) عبد الله : هو عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال
النايفة الجعدي .

(٢) القعب : القدح . شيبا : مُزجا .

(٣) المولج : من أُولج أي أدخل .

(٤) النطفة : ماء الرجل . قَدْهَا : قطعها . النسم : الروح والنفس .

(٥) العقائق : جمع العقيقة وهو الشعر الذي يخرج على رأس المولود . الأدم : جمع
الأدمة : باطن الجلد . البشرة : ظاهر الجلد .

والصوت واللون والمعاش
ثُمَّتْ لَا بَدْ أَنْ سِيَجْمَعُكُمْ
فَاتَّبِعُوا الْآنَ مَا بَدَا لَكُمْ
فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلَا
يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ تَرَوْنَ
أَمْسُوا عِيداً يَرْعَوْنَ شَاءَكُمْ
كَأَنَّمَا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلُمًا
أَوْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَبِيلِهِ الْعَرِمَا^(١)
فَمَزَقُوا فِي الْبِلَادِ وَاعْتَرَفُوا الْهَوْنَ وَذَاقُوا الْبَاسَاءَ وَالْعَدَمَا
وَبَدَّلُوا السُّلْزَ وَالْأَرَكَ بِهَ الْخَمْطِ وَأَضْحَى الْبَنِيَانُ مِنْهُمَا^(٢)
يَا مَالِكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَمَنْ يَنْفَرُقُ مِنْ اللَّهِ لَا يَخْفُ أَثْمَا
إِنِّي أَمْرُؤُ قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَلَا تَعْفُ عَنِّي أَغْلَا دَمًا كَثِيمًا^(٣)
أَطْرَحَ بِالْكَافِرِينَ فِي السُّدْرِكِ الْأَسْفَلِ يَا رَبِّ اصْطَلِي الصُّرْمَا
يَرْفَعُ بِالْقَارِ وَالْحَدِيدِ مِنَ الْجَوْرِ طَوَالاً جَذَعَوْعَهَا عُمَا
نَوْدِي قُمْ وَارْكَبْنِ بِأَهْلِكَ إِنَّ اللَّهَ مَوْفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمَا^(٤)
وقال:

مِنْ عَهْدِ مَا أَوْرَثْتُ حَبِيبِهِ وَالشُّرَّ يَوَافِي مَطَالِنِ الْأَكَمِ
أَكْفِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَنَمِ^(٥)

(١) اتَّبِعُوا: اجمعوا آراءكم. العصمة: المنعة.

(٢) فِي الْبَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَى مَدِ مَأْرَبِ الَّذِي أَخَذَهُ السَّبِيلَ قَدِيمًا فِي الْيَمَنِ.

(٣) السُّلْزُ: وَاحِدَتُهُ سِدْرَةٌ: شَجَرُ النَّبَقِ. الْأَرَكَ: وَاحِدَتُهُ أَرَاكَةٌ: شَجَرُ السَّوَاكِ.
الْخَمْطُ: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

(٤) دَمٌ كَثِيمٌ: أَيُّ غَلِيظٍ.

(٥) زَعَمَ: تَكَفَّلَ.

(٦) فِي هَذَا الْبَيْتِ سَبَقَ الْجَعْدِيُّ غَيْرُهُ بِالْكَتَابَةِ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ.

غَافَةُ الْكَاشِحِ الْمَكْثَرِ أَنْ يَطْرَحَ فِيهَا عَوَائِرَ الْكَلِمِ^(١)
 طَيِّبَةُ النَّشْرِ وَالْبُدَاهَةِ وَالْعِلَالِ عِنْدَ الرُّقَادِ وَالنَّسَمِ^(٢)
 كَانَ فَاها إِذَا تَبَسُّمُ مِنْ طَيِّبٍ مَسَمٌ وَحُسْنٌ مُبْتَسَمِ
 يُسْنُ بِالضُّرُو مِنْ بَرَاقِشٍ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ ضَامِرٍ مِنَ الْعُتَمِ^(٣)
 غَرَاءَ كَاللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَمَرَاءَ تَهْدِي أَوَائِلَ الظُّلَمِ
 رُكَّبَ فِي السَّامِ وَالزُّبَيْبِ أَفَا حَيُّ كَثِيبٍ تَسْدِي مِنَ الرَّهَمِ
 بِمَاءٍ مَزِينٍ مِنْ مَاءِ دَوْمَةٍ قَدْ جُرَّدَ فِي لَيْلٍ شَمَالٍ شَبِمْ
 عُلْتُ بِهِ قَرَقَفَ سُلَافَةٌ إِسْفَنْطِ عُقَارٍ قَلِيلَةُ النَّدَمِ^(٤)
 الْقَيِّ فِيهَا فَلَجَانٍ مِنْ مِسْكِ دَارِينَ وَفَلَجٍ مِنْ فُلْفُلٍ ضَرِمِ
 رُدَّتْ إِلَى أَكَلَفِ الْمَنَاجِبِ مَرْسُومٍ مُقِيمٍ فِي الطِّينِ عَحِيدِمْ
 جَوْنٍ كَجَوْنِ الْحِمَارِ جَرَدَهُ الْخِرَاسُ لَا نَاقِسٍ وَلَا هَزِيمِ^(٥)
 وقال:

(الطويل)

يَقُولُ لِمَنْ يَلْحَاهُ فِي بَذَلٍ مَالِهِ
 أَنْفَقْتُ أَيَّامِي وَأَتْرُكُ مَالِيَا^(٦)
 يُدِيرُ الْعَمْرُوقُ بِالسَّنَانِ وَيَشْتَرِي
 مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى وَإِنْ كَانَ غَالِيَا

(١) الكاشح: العدو المبغض. العائر من الحجارة: لا بدري من رماه.

(٢) النشر: الرائحة. البداهة: المفاجأة. عل علته: عل كل حال.

(٣) يسن: يسوك. الضرور: شجرة الكمكاه، شجر طيب يستاك به. وهيلان وبراقش: واديان باليمن.

(٤) القرقف: الحمرة. سلافة الحمرة: أولها. الإسفنت: الحمرة.

(٥) جُون: أسود. الخراس: صانع الدنان.

(٦) يلحاه: يلومه.

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ سَمِيدُ
 إِذَا لَمْ يَرْخُ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا^(١)
 أَتَيْتُ لَهُ وَالْغَمُّ يَحْتَضِرُ الْفَتَى
 وَمَنْ حَاجَةُ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ لَاقِبَا
 وقال:

(المقارب)

وَلَيْسَتْ بِشَوْهَاءَ مَقْبُوحَةٌ تَوَافِي الدِّيَارِ بِوَجْهِ غَيْرِ^(٢)
 فَتُرْ ذَا وَعْدٍ إِلَى غَيْرِهِ فَشَرُّ الْمَقَالَةِ مَا يَمْتَرُ^(٣)
 وَمَا الْبَغْيُ إِلَّا عَلَى أَهْلِهِ وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَهَذِي الشَّجَرِ
 تَرَى الْغَصْنَ فِي عَنُقَوَانِ الشَّبَا بِ يَهْتَزُّ فِي بَهَجَاتِ خُضْرٍ
 زَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ التَّوَى فَعَادَ إِلَى صَفْرَةٍ فَانْكَسَرُ
 وقال:

(الرمل)

وَلَقَدْ أَغْدُو بِشَرِّ أَتْفٍ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ رَبَشٌ^(٤)
 مَعَنَا زَيْقٌ إِلَى سُمْهَةٍ تَسْقُ الْأَكَالِ مِنْ رَطْبٍ وَهَشٍ^(٥)
 فَزَلْنَا بِمَلِيعٍ مُقْفَرٍ مَسَّهُ طَلٌّ مِنَ الدَّجْنِ وَرَشٌ^(٦)

(١) أشم سميدع: سيد ذو أنفة.

(٢) المقبوحة: التي تُرَدُّ.

(٣) اعتبار الكلام: اقتضابه.

(٤) الشرب: اسم جمع لشارب. الربرش: العشب والنبات.

(٥) سُمَهة: خوص يجمع فيجعل شبيهاً بسفرة. الأكال: ما يؤكل. الهش: اليابس.

(٦) المليغ: المفاضة. الطل: الندى. الدجن: المطر الغزير. الرش: المطر الخفيف.

ولدينا قَيْنَةٌ مُسَمِّعَةٌ	ضَخْمَةٌ الْأُرْدَافِ مِنْ غَيْرِ نَفْسٍ ^(١)
وَإِذَا نَحْنُ بِإِجْلٍ نَافِرٍ	وَنَعَامٍ خَيْطُهُ مِثْلُ الْحَبَشِ ^(٢)
فَحَمَلْنَا مَا هِنَا يُنْمِفُنَا	فَوْقَ يَعْجُوبٍ مِنَ الْخَيْلِ أَجَشِّ ^(٣)
ثُمَّ قَلْنَا دُونَكَ الصَّيْدَ بِهِ	تَدْرِكُ الْمَحْبُوبَ مِنَّا وَتَعَشِّ ^(٤)
فَأَتَانَا بِشَبُوبٍ نَاشِيطٍ	وِظْلِيمٍ مَعَهُ أُمُّ خُحْشِ ^(٥)
فَاشْتَوَيْنَا مِنْ غَرِيضٍ طَلِيبٍ	غَيْرِ مَمْنُونٍ وَأَبْنَا بَغَبَشِ ^(٥)

(١) القينة: المغنية.

(٢) الإجل: القطيع من بقر الوحش. الخيط: جماعة النعام.

(٣) الماهن: الخادم. اليمبوب: الفرس السريع الطويل. الأجش: الغليظ.

(٤) الشبوب: النشط الحرون. الظليم: ذكر النعام. الخحش: الغزال الصغير.

(٥) الممنون: المقطوع. الغبش: بقية الليل.

ثبت المراجع والمصادر

- شعر النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، ط ١/١٩٦٤، بيروت.
- ديوان الأعشى الأكبر، مكتبة الآداب بالقاهرة.
- ديوان دريد بن الصمة، دار صعب، ١٩٨١، بيروت.
- شرح المعلقات السبع، الزوزني، دار صادر، بيروت.
- العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٧، القاهرة.
- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- طبقات الشعراء، ابن سلام، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٨، بيروت.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٥، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، دار المعارف بمصر، ط ٤.
- التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٦.

الفهرس

٣	المقدمة
٥	الفصل الأول: الجاهلية
٦	البيئة الطبيعية
٨	البيئة الاجتماعية
١١	البيئة الدينية
١٣	البيئة السياسية
١٦	البيئة العقلية والأدبية
٢١	الفصل الثاني: صدر الإسلام
٢١	العصر الإسلامي
٢٢	القرآن الكريم
٢٣	لغة القرآن ومنهجه
٢٤	أثر الإسلام في الحياة العربية
٢٧	الحديث النبوي
٢٧	موقف الإسلام من الشعر والشعراء
٣١	الفصل الثالث: النابغة الجعدي
٣١	نسبه
٣٢	نشأته وسيرته
٣٥	شاعريته
٣٧	الفصل الرابع: أغراضه الشعرية
٣٧	الملح

٤٤	المجاء
٥١	الفخر
٥٥	الوصف
٥٨	الحكمة والخواطر
٦١	إسلامياته
٦٧	الثناء
٦٨	الغزل
٧٣	اللهو والخمريات
٧٧	الزهد
٧٩	خصائصه العامة
٨٣	الخاتمة
٨٥	مختارات
١٠٩	ثبت المراجع والمصادر
١١١	الفهرس